

روايات مصرية للجيب
رجل المستحيل
مهرجان الموت
116
Looloo
د. نبيل فاروق
www.dvd4arab.com
الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت : ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٨٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧
فاكس : ٢٨٢٧٠٠٢

رجل المستحيل

(أدهم صبرى) .. ضابط مخابرات مصرى، يرمز إليه بالرمز (ن-١) .. حرف (النون)، يعنى أنه فئة نادرة، أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه؛ هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص .. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة، من المسدس إلى قاذفة القنابل .. وكل فنون القتال، من المصارعة وحتى التايكوندو .. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لستّ لغات حيّة، وبراعته الفائقة فى استخدام أدوات التنكّر و(المكياج)، وقيادة السيارات والطائرات، وحتى الغواصات، إلى جانب مهارات أخرى متعدّدة.

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل).

د. نبيل فاروق

١ - نقطة الضعف ..

لم تكد دقات الساعة ترتفع، معلنةً تمام منتصف الليل، فى مقر السنيورا السرى، فى قلب جبال (بوليفيا)، حتى انطلق رنين هاتفها الخاص بغتة، على نحو جعلها تثب من مقعدها، وتلتقط سمّاعته بحركة سريعة، قائلة فى صرامة عصبية :

- من المتحدِّث ؟!

أتاها صوت متوتِّر مألوف، يجيب :

- إنه أنا يا سنيورا .. (دونيو) .. أتحدَّث من (ريو دى جانيرو) ؟!

انعقد حاجباها فى شدة، وعقلها يبحث عشرات الأسباب، التى تدفعه للاتصال بها، فى مثل هذا الوقت، قبل أن يندفع لسانها ليسأله :

- ماذا هناك يا (دونيو) ؟!

بدا لها صوته عصبيًّا للغاية، وهو يجيب :

- الرجل لم يمت يا سنيورا.

سرى صوته من السمّاعة إلى أذنها ، فانتفض له جسدها كله فى عنف ، وهى تهتف بكل قوتها :

- (أدهم) لم يمت ؟! (أدهم) حى ؟!

أجابها (دونيو) ، وعصبيته تتزايد أكثر وأكثر :

- نعم يا سنيورا .. إنه حى .. السنيور (أندروفيتشى) تصوَّر أنه قد نجح فى قتله ، عندما أطلق ست رصاصات على صدره مباشرة ، داخل هليوكوبتر الشرطة ، ولكن الرجل كان يرتدى سترة واقية من الرصاصات ، ولقد أرسلها إلى سنيور (أندروفيتشى) ، ثم هاجم الرجال جميعًا داخل الفندق .

التقى حاجباها فى شدة ، وهى تقول :

- هاجمهم ؟! أتعنى أن (أدهم) قد قضى على رجالنا فى الفندق ؟!

هتف الرجل مذعورًا :

- لا .. لا يا سنيورا .. أنا لم أقل هذا .. لقد هاجم رجالنا فى الفندق ، ولكنهم مازالوا يقاتلونه بكل شراسة ، و ...

قاطعته صيحتها المفعمة بالانفعال :

- فى الفندق ؟!

ارتبك الرجل ، وهو يغمغم :

- نعم يا سنيورا .. القتال مازال دائرًا فى الفندق .

قالت فى انفعال :

- إذن فـ (أدهم) مازال هناك .. مازال فى الفندق !!

ارتبك (دونيو) أكثر ، وقال فى توتر :

- نعم يا سنيورا .. الرجل مازال هناك ، ولكن المفتش (أورتيجا) أمر رجاله بمحاصرة كل مداخل ومخارج الفندق ، ورجالنا يطاردون ذلك المصرى بكل قوتهم وهمتهم ، و ...

مرة أخرى قاطعته صيحتها الهادرة :

- أغبياء .

لم يدر لماذا أطلقت تلك الصيحة ، مما جعله يضطرب ، متصورًا أنه قد أخطأ على نحو ما ، فقال محاولاً تحسين موقفه :

- لا داعى للقلق يا سنيورا .. الفندق خال تقريبًا ، فيما عدا طابقه الأرضى ، حيث يدور حفل المهرجان السنوى ، والضجيج الشديد ، فى الفندق والشوارع سيخفى أصوات طلقات المدافع الآلية وسيتصوَّر من يسمعها أنها جزء من المهرجان ، و ...

قاطعته فى صرامة عصبية :

ـ اصمت ، واسمعنى جيدًا أيها الغبى .. أنت وهؤلاء الرجال غاية فى الحماقة والغباء ، فـ (أدهم صبرى) لن يقع فى قبضة مجموعة من المجرمين المنفعلين .. إنه أكثر ذكاءً ومهارة وبراعة من هذا .. كل ما سيحدث هو أنه سيثير أعصابهم ، ويستفزّهم ، ويصفعهم الصفعة بعد الأخرى ، حتى تتفجَّر عقولهم بالغضب ، ويفقدون القدرة على التصرُّف بحكمة أو ذكاء ، ويقعون فى أخطاء مميتة ، يحسن هو استغلالها فى براعة ، ليوقع بهم ، ويحطمهم ، ويمنيهم بهزيمة فادحة .

وانعقد حاجباها فى شدة ، وهى تضيف بعصبية أكثر :

ـ وربما يحصل منهم على أسرار ، ينبغى أن يلقوا مصرعهم ، قبل أن يتفوَّهوا بها .

تمتم (دونيو) ، والتوتر يكاد يعصف بنفسه :

ـ ماذا نفعل إذن يا سنيورا ؟!

نعم .. ماذا يفعلون ؟!

تردَّد السؤال فى رأسها بمنتهى العنف ، وأشعل نيرانًا مستعرة فى عقلها ، الذى انطلق يستعيد كل ما حدث منذ البداية ..

منذ نجحت فى إقناع أربعة من عمالقة الاقتصاد العالمى ، بتمويل مشروعها النووى ، الذى يهدف إلى السيطرة على العالم أجمع ، والتحكم فى مقدراته ، حتى آخر مدى ..

وبخطة مدروسة بارعة ، أنشأت مفاعلها النووى ، فى قلب جبال (بوليفيا) ، ونجحت فى الحصول على كل مستلزمات إنتاج القنابل الذرية ..

حتى الماء الثقيل ، والبلوتونيوم ٢٣٩

وبقى أمر واحد شديد الأهمية ..

العلماء اللازمون لتنفيذ العملية ..

وبنفس الهمة والنشاط .. والعنف أيضًا ، راحت السنيورا تجمع فريقها النووى ، من كل مكان فى العالم ..

(ميخائيل استروتيسكى) من (إسرائيل) ..

(دوران جولهى) من (أمريكا) ..

(جيسكار دى مال) الفرنسى ..

وبقى (مارك مانهايم) الألمانى..

وبسبب هذا الأخير بالتحديد ، اندلعت الحرب ..

المخابرات المصرية كشفت الأمر ، وتدخلت فى

سرعة ، لمنع السنيورا من الحصول على البروفسير (ماتهايم) ، حتى لا يكتمل برنامجها النووى ..

وتم إسناد المهمة إلى أفضل رجل ، فى الجهاز كله .. إلى (أدهم صبرى) ..

ومن (طوكيو) فى (اليابان) ، انطلق (أدهم) مباشرة إلى (البرازيل)(*) ..

وإلى (ريو دى جانيرو) بالتحديد ..

ولم يكن الأمر سهلاً أبدًا ..

لقد نجح رجال السنيورا بالفعل ، فى اختطاف البروفيسير (ماتهايم) ، وحاولوا الانطلاق به إلى (بوليفيا) ..

ولكن (أدهم) و (جيهان) وصلا فى اللحظة الأخيرة ..

وانقلبت كل الموازين ..

كالمعتاد ..

وعندما استعادا البروفيسير (ماتهايم) ، جنّ جنون السنيورا ورجالها ، وانطلقوا يطاردون الثلاثة ، وسط أعنف عاصفة شهدتها المنطقة ، وعبر أخطر ممر جبلى فى (أمريكا الجنوبية) كلها ..

(*) راجع قصة (الفريق الأسود) .. المغامرة رقم (١١٢) .

ممر الخطر ..

كوهيدور بيليجرو ..

وكان على (أدهم) أن يواجه الثلاثة ..

رجال السنيورا ..

والعاصفة ..

والممر ..

وكانت أصعب وأعنف ساعات حياته ..

وعندما انتهت العاصفة ، ونجوا منها بمعجزة ، وجدوا رجل السنيورا الأول (يورى أندروفيتشى) ، رجل المخابرات السوفيتى السابق فى مواجهتهم ..

ومرة أخرى ، اشتعلت حرب طاحنة ..

وفى هذه المرة ، قتل (أندروفيتشى) البروفيسير (ماتهايم) عندما علم من السنيورا أنها قد وجدت بديلاً مناسبًا ، فى قلب معتقل (سيبيريا) ..

البروفيسير البولندى (ديوك بولانسكى) ..

وبينما يحمل (أدهم) زميلته (جيهان) ، التى تكاد تلفظ أنفاسها الأخيرة ، داخل كهف جبلى ، فى أعماق (كوهيدور بيليجرو) ، ورجال السنيورا ينسفون مدخله ، كانت تلك الأخيرة تستقبل البروفيسير (بولانسكى) فى مكتبها ، لتعلن بدء مشروعها النووى ..

مشروع السيطرة على العالم ..

وداخل الكهف الجبلى ، ووسط كل هذه الظروف العنيفة ، التقى (أدهم) بالزنجى العملاق (بترو) ، وقاتل الاثنان ، حتى بلغا مقبرة بدائية ، خرجا منها إلى العالم ، ليجدا رماح البدائيين فى وجوههم ، فى أسوأ فترة من فترات العام ..

فى عيد (كل الموتى) ، الذى يحتفل فيه هؤلاء البدائيون الوثنيون ، بعودة أرواح موتاهم ، وباليوم الذى لا يلقى فيه أى غريب ، يدخل أرضهم ، سوى مصير واحد ..

الموت ..

وبلا رحمة ..

ولكن العجيب أن هذا لم يكن مصير (أدهم) و (جيهان) و (بترو) ..

فبسبب أسطورة قديمة ، تصوَّر البدائيون أن (أدهم) منقذهم ، الذى انتظروا قدومه طويلاً ..

وانقلبت الأمور مرة أخرى ..

وفى الوقت الذى تصوَّر فيه (أندروفيتشى) ورجاله ، أنهم قد انتصروا فى معركتهم ، وقضوا على رجل المستحيل ، فوجئوا به أمامهم ، وقد استعاد كل قوته

وحيويته ونشاطه ، عندما حاولوا قتل (منى) و (قدرى) ، اللذين هرعا إلى (ريو دى جانيرو) ، لمؤازرة (أدهم) فى معركته ..

ومع الاحتفال بالمهرجان السنوى لـ (ريو) ، بدأ فصل جديد من المعركة ..

فصل قرَّر فيه (أدهم) أن يواجه (أندروفيتشى) ورجاله ، ويقاتلهم بكل قوته ، داخل الفندق الذى يقيمون فيه ، حتى تتحطم أعصابهم ، ويفقدون السيطرة على تفكيرهم ، وينهار أحدهم ، فيحصل منه على موقع وكر السنيورا النووى ..

ولكن (يورى أندروفيتشى) استغلَّ كل خبراته ومهاراته كرجل مخابرات سابق ، وتوصل إلى موقع (أدهم) ..

وأرسل رجاله خلفه ..

وبسرعة ، انطلق الرجال إلى حيث أشار قائدهم ..

ووقع بصرهم على خصمهم ، و ..

وانطلقت رصاصاتهم لتصيب الهدف ..

وبمنتهى الدقة(*) ..

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الأجزاء الثلاثة .. الأولى .. (رياح الخطر) ، و(ممر الجحيم) ، و(بلا رحمة) .. المغامرات (١١٣) (١١٤) ، (١١٥) .

ولكن السنيورا لم تكن تعرف هذا ..

كل ما تعرفه ، حتى هذه اللحظة ، هو أن (أدهم صبرى) لم يمت ..

وأنه قد عاد ليقتحم الأحداث من جديد ..

ويمنتهى القوة ..

وبينما كانت تعتصر عقلها ، بحثًا عن وسيلة لمواجهته ، كان كيانها كله ينتفض بأمل واحد ..

أن ينتهى أمر هذا الرجل ..

وإلى الأبد ..

★ ★ ★

انطلق (لاماس) و (كوادروس) وباقى الرجال ، فى عنف وشراسة ، نحو الحجرة التى أشار إليها (أندروفيتشى) ، مؤكدًا أن (أدهم) يتحدَّث إليه منها ..

وعندما اقتحموا تلك الحجرة ، وقع بصرهم عليه ، وهو يتحدَّث عبر الهاتف ..

ودون إضاعة ثانية واحدة ، انطلقت رصاصاتهم ..

واخترقت الهدف ..

كلها ..

وفى تلك اللحظة فقط ، ومع اختراق الرصاصات للهدف ، أدرك الجميع أن هذا ليس (أدهم صبرى) ..

بل ليس كائنًا بشريًا على الإطلاق ..

إنه مجرَّد دمية ، من تلك الدمى المستخدمة فى المهرجان ، والتى لم تكد الرصاصات تخترقها ، حتى فجَّرت قنبلتين داخلها ، من القنابل الدخانية المسيِّلة للدموع ..

وتفجَّرت الأدخنة الكثيفة فى وجوه الرجال التسعة ..

وفى نفس اللحظة ، انقضَّ عليهم (أدهم) ..

لا أحد يدرى من أين جاء ، ولا أين كان يختفى ..

ولكنه أتى ..

كالصاعقة ..

وعندما سعل أحد الرجال فى عنف ، تفجَّرت فى أنفه قبضة (أدهم) الفولاذية ، واقتلعته من مكانه ، لتضرب به الجدار فى عنف ، فى نفس اللحظة التى انتزع فيها (أدهم) مدفع الرجل الآلى ، وهوى بكعبه على رأس آخر ..

وقبل أن يدرك أحدهم ما حدث ، كانت قبضته تحطِّم أسنان ثالث ، وتلكم الرابع فى معدته بقوة مدهشة ،

جعلت الرجل ينثنى فى حدة ، لتستقبله ركبة (أدهم) فى أنفه ، وتحطمه تمامًا ..

وبكل توتره وذعره ، هتف (لاماس) بمن تبقى من الرجال :

- اقتربوا من بعضكم .. فليلتصق ظهر كل منكم بظهر رفيقه ، ولنصنع دائرة مغلقة ، ثم نطلق النار فى كل الاتجاهات .

أطاعوا جميعًا أمره فى سرعة ، وهم يسعلون بشدة ، والدموع تسيل من عيونهم أنهارًا ، وتحجب عنهم وضوح الرؤية ، وما إن صنعوا تلك الدائرة المغلقة ، حتى انطلقت رصاصاتهم تدوى فى كل مكان وتخترق كل سنتيمتر بالحجرة ..

الجدران ، والأثاث ...

وحتى النوافذ ..

ولدقيقة كاملة ، تواثبت فوارغ الطلقات فى كل ركن ..

ثم توقّف إطلاق النيران ، و (كوادروس) يقول بصوته الخشن :

- من المستحيل أن يظلّ كائن ما على قيد الحياة هنا ، بعد كل هذا يا (لاماس) .. أليس كذلك ؟!

غمغم (لاماس) فى توتر شديد ، وهو يجاهد لفتح عينيه ، مع كثرة ما يغمرها من دموع :

- أعتقد هذا .

لم يكد يتمّ قوله ، حتى أدهشه ذلك الصوت الساخر ، الذى انبعث من الشخص الذى يلتصق به تمامًا ، وهو يقول :

- هل تعلم ما عيب أوامرك يا (لاماس) ؟! أنها علنية أكثر من اللازم .

احتقن وجه (لاماس) ، ودار على عقبيه بأقصى سرعة ، ليواجه ذلك الخصم ، و ..

وانقضت قبضته كالصاعقة على وجهه ..

وأظلمت الدنيا كلها أمام عينيه ..

ويبدو أن اللكمة كانت عنيفة ومسموعة ، حتى إن الرجال الستة شعروا بتوتر بالغ ، وهتف (كوادروس) ، وهو يحاول أن يتبيَّن ما يحدث :

- (لاماس) .. ماذا حدث ؟!

لم يتلق جوابًا لسؤاله ، فصرخ فى عصبية :

- (لاماس) ..

كان دخان القنبلتين ينقشع ، وتأثيرهما يزول تدريجيًا ،

فى تلك اللحظة التى اندفع فيها (أندروفيتشى) داخل الحجرة ، هاتفًا :

ـ هل ظفرتم به ؟!

لم يجب أحدهم سؤاله ، ولكن المشهد لم يكن يحتاج إلى تفسير أو توضيح ..

الدخان ..

الدمية الممزقة ..

الرجلان المصابان ، اللذان فقدا وعيهما على أرضية الحجرة ..

كل هذا كان يحمل حقيقة واحدة ..

لقد انتصر (أدهم صبرى) ، فى هذه الجولة أيضًا ..

وبتفوق ..

« أين (لاماس) ؟! »

انطلقت صيحة (كوادروس) تخترق أذنى (أندروفيتشى) وأفكاره فى عنف ، فالتفت إليه فى حدة قائلاً :

ـ ماذا تعنى بسؤالك هذا ؟! ألم يصحبكما (لاماس) إلى هنا ؟!

قال (كوادروس) فى عصبية مفرطة ، وهو يدعك عينيه فى قوة :

ـ لقد كان هنا منذ دقائق قليلة ، ثم اختفى فجأة .

وضع (أندروفيتشى) منديلاً على أنفه ، وهو يقول فى حدة :

ـ لا تدعك عينيك أيها الغبى ، وإلا تضاعف تأثير الغازات المسيلة للدموع(*) .. اذهبوا واغسلوا عيونكم بالماء .. هيا .

اندفعوا جميعًا لمغادرة الحجرة ، ولكن (أندروفيتشى) استوقف (كوادروس) ، وسأله فى صرامة حادة :

ـ ماذا تعنى بأن (لاماس) قد اختفى ؟! إننى لم أشأ إثارة الأمر أمام باقى الرجال ، حتى لا أضاعف توترهم وعصبيتهم .

أجابه (كوادروس) ، وهو يلوح بذراعيه فى توتر بالغ :

ـ لست أدرى ما حدث .. كنا نلتف حول بعضنا ، ونطلق النار فى كل مكان ، ثم سمعنا صوت لكمة قوية ، اختفى (لاماس) بعدها تمامًا .

(*) حقيقة .

انعقد حاجبا (أندروفيتشى) فى شدة ، وهو يغمغم :
ـ اللعنة ! هذا يعنى أنه فى قبضة (أدهم صبرى) الآن ، بكل ما يعرفه من معلومات وأسرار عن السنيورا ومشروعها النووى ..
سأله (كوادروس) فى عصبية :
ـ هل نبحث عنه أيها القائد ؟!
أجابه (أندروفيتشى) فى صرامة :
ـ بالتأكيد .. لا يمكننا أن نسمح ببقائه فى قبضة (أدهم) طويلاً .
ثم أشار بيده ، مستطردًا بلهجة آمرة :
ـ اذهب فاغسل عينيك مثل الآخرين ، ثم اجمعهم جميعًا فى حجرتى .. لابد أن نتحرك بأقصى سرعة ، قبل أن نخسر كل شىء .
سأله (كوادروس) فى لهفة :
ـ ما الذى تنوى فعله أيها القائد ؟!
لوَّح (أندروفيتشى) بيده فى حدة ، قائلاً :
ـ اذهب يا (كوادروس) .. اذهب ودعنى أفكِّر .. اذهب .

أسرع (كوادروس) يغادر الحجرة ، قائلاً :
ـ كما تأمر أيها القائد .. كما تأمر .
مطَّ (أندروفيتشى) شفتيه فى قوة ، وهو يدير عينيه فى الحجرة المحطَّمة ، مغمغمًا :
ـ هذا هو ما يسعى إليه (أدهم) بالضبط .. أن نغضب بشدة ، فنفقد السيطرة على عقولنا وأعصابنا ، وتنساب الأمور من بين أيدينا ، لتلتقطها أصابعه فى خفة ومهارة .. ولكن لا .. لا ينبغى أن تسمح له ببلوغ غايته يا (أندروفيتشى) .. تمالك جأشك وأعصابك ، وفكِّر .. فكِّر جيِّدًا يا (أندروفيتشى) ، وابحث عن نقاط ضعف (أدهم صبرى) .. هيا ..
أغرق نفسه فى تفكير عميق ، وهو يفحص هاتف الحجرة ، قبل أن يغمغم فى حنق :
ـ لعبة عبقرية بحق يا (أدهم) .. ميكروفون صغير ملصق ببوق الهاتف ، بحيث يمكنك أن تنقل إليه الحديث عبر هاتف لاسلكى ، من أى مكان آخر .. لعبة عبقرية بحق .. لعبة نجحت فى خداع (يورى أندروفيتشى) نفسه ..

لم يكد يتمّ عبارتـه ، حتـى ارتفـع رنيـن هاتفـه المحمول ، فانعقد حاجباه فى توتر ، والتقطـه مـن جيبه فى حركة غاضبة ، وقـال فـى حدة ، معتقدًا أن (أدهم) هو المتحدّث حتمًا :

ـ ماذ تريد الآن ؟!

أتاه صوت السنيورا ، وهى تقول فى عصبية :

ـ إنه أنا يا (يورى) .. ماذا يحدث عندك بحق الشيطان ؟!

أجابها (أندروفيتشى) ، بعد لحظة من الصمت :

ـ مرحبًا يا سنيورا .. أراهن أن أخبار ما يحدث هنا قد بلغتك ، قبل حتى أن تبلغنى .

أجابته فى صرامة :

ـ أما أنا فأراهن على أنك قد وعيت الأمر ، ولـن تعترف فى المرة القادمة بمصرع (أدهم صبرى) ، إلا بعد أن تشعل النيران فى جثته بنفسك .

قال (أندروفيتشى) ، وهو يبذل قصارى جهده ، للسيطرة على أعصابه الثائرة :

ـ الرجل محاصـر داخل الفنـدق يا سنيـورا ، ولـن

يمكنه الإفلات من قبضة رجالنا قط .

أجابته فى سخرية عصبية :

ـ حقًا ؟! وكم فقـدت من هـؤلاء الرجـال حتى الآن يا (يورى) ؟ خمسة ؟! عشرة ؟!

قال فى حدة :

ـ فلنعترف أنه ليس خصمًا تقليديًا يا سنيورا .

صاحت غاضبة :

ـ ولنعترف أيضًا أن وجوده يهدّد مشـروعاتى كلهـا بالفشل .

ثم أضافت فى صرامة مخيفة :

ـ اسمعنى جيـدًا يا (يورى أندروفيتشـى) .. هـذا المشروع النووى هو أقوى وأكبر خطوة ، فى حياتى كلها ، وهو يعتمد على استثمارات تبلـغ نصف مليـار دولار دفعـة واحـدة ، وأصحـاب هـذه الاستثمارات لـن يقبلوا أمر خسارة أموالهم فى سهولة ، وسيكون رد فعلهم عنيفًا ، إذا ما فشل هـذا المشـروع ، لأى سبب كان .. سيكون أعنف مما يمكنك تصوره ، حتـى فـى أبشع كوابيسك .. هل تفهم ؟!

ازدرد لعابه ، فى محاولة للسيطرة على أعصابه ، وهو يجيب :

ـ أفهم يا سنيورا .. أفهم هذا جيدًا ، منذ البداية .

قالت بسرعة :

ـ عظيم .. الشىء الذى ينبغى أن تفهمه أيضًا ، أنه فى اعتقادى ، واعتقاد الدنيا كلها ، أن الشخص الوحيد ، فى العالم أجمع ، الذى يمكنه إيقاف هذا المشروع أو تدميره ، هو ذلك المصرى ، وهذا يعنى حتمية القضاء عليه ، مهما كان الثمن .

صمت (أندروفيتشى) لحظة ، ثم تمتم فى ضيق :

ـ أعلم هذا يا سنيورا .. أعلم هذا .

سألته فى صرامة عصبية :

ـ ما الموقف عندك بالضبط ؟!

أحنقه كثيرًا أن تلقى عليه هذا السؤال ، ولكنه أجاب فى صراحة ووضوح :

ـ فقدنا سبعة رجال حتى الآن ، و (لاماس) مازال مفقودًا ، و ...

شهقت هاتفة :

ـ (لاماس) ماذا ؟! ما الذى يعنيه كونه مفقودًا ؟! هل تقصد أنه قد وقع فى قبضة (أدهم) ؟!

غمغم فى مرارة :

ـ بالضبط .

هتفت فى عصبية زائدة :

ـ لا يا (يورى) .. لا ينبغى أن تسمح بحدوث هذا أبدًا .. (لاماس) يعرف الكثير .. الكثير جدًّا ، ووجوده فى قبضة (أدهم) ، يعرّض حياتنا نفسها للخطر .

أجابها فى حزم :

سأقلب الفندق كله ، بحثًا عنه .. وسأنسفه لو اقتضى الأمر .. المهم ألا يربح (أدهم صبرى) هذه المعركة ، أو ...

بتر عبارته فجأة ، ليهتف :

ـ يا للشيطان ! ها هى ذى !

صاحت به فى حدة :

ـ ماذا أصابك يا (يورى) ؟!

أجابها فى انفعال ، يتعارض تمامًا مع شخصيته :

ـ عثرت عليها يا (سنيورا) .. عثرت على نقطة

الضعف ، التى تصلح للإيقاع برجل مثل (أدهم صبرى) .. عثرت عليها .

قالها ، وأطلق ضحكة عالية مجلجلة ، تردَّد صداها فى المكان كله ..

ضحكة رجل يثق تمامًا بخطته .. وبانتصاره .

* * *



٢ - الدم ..

شعرت (منى) بتوتر بالغ ، وهى تتطلَّع إلى الإناء الصغير ، الذى قدَّمه لها ساحر القرية ، وغمغمت فى قلق :

- هل تعتقد أننى يمكننى تناول شىء كهذا ؟!

هزَّت (جيهان) كتفيها ، وقالت :

- إنها أوامر (أدهم) .

أما (قدرى) ، فقال فى حماس :

- تناوليه يا (منى) ولا تقلقى .. هؤلاء القوم مدهشون بحق ، على الرغم من بدائيتهم .. لقد عالجوا إصابتى ، على نحو لم أشاهد مثله قط .. انظرى .. تكاد تكون ملتئمة ، ثم إننى لا أشعر بأى لم ..

تطلَّعت (منى) مرة أخرى إلى العقار ، ثم نقلت وجهها إلى الساحر ، الذى تغطى وجهه بطلاء ملوَّن ، وقالت :

- ولكننى خضعت لعلاج مكثَّف بالفعل ، تحت إشراف نخبة من أفضل الأطباء .

تنهدت (جيهان) ، وقالت :

ـ أما أنا ، فقد كنت ألفظ أنفاسى الأخيرة بالفعل ، عندما أتى بى (أدهم) إلى هنا ، ولست أظن أفضل أطباء العالم يمكنهم فعل ما فعله معى هؤلاء القوم :

ترددت (منى) لحظة أخرى ، ثم لم تلبث أن التقطت الإناء ، وراحت ترتشفت محتوياته فى حذر ..

كان السائل دافئًا ، خفيف القوام ، له مذاق أشبه بمذاق العسل الأسود ، مع لمحة لاذعة ، فراحت ترتشفه كله ، و (جيهان) تتابعها ، مستطردة :

ـ (أدهم) يؤكد أن هؤلاء القوم تفوقوا ، منذ زمن بعيد فى علاج الأمراض العضوية ، غير الميكروبية ، بوسائل وأعشاب وعقاقير طبيعية ، لم يتوصل أحد إلى سرها بعد ، لأنهم يعتبرونها أحد أسرارهم المقدسة ، التى يتوارثها من يطلقون عليهم اسم سحرة القبيلة وحدهم ، من جيل إلى جيل(*) .

انتهت (منى) من تناول محتويات الإناء عن آخرها ، فأعادتها للساحر مع ابتسامة رقيقة ، وهى ترمق (جيهان) بنظرة جانبية ، قائلة :

(*) حقيقة .

ـ من الواضح أنك تحترمين كل ما ينطق به (أدهم) .

أدركت (جيهان) ما ترمى إليه (منى) ، فابتسمت فى خبث ، وهى تقول :

ـ هذا أمر طبيعى .. إنه رئيسى المباشر ، و ...

وبدلاً من أن تتمّ عبارتها ، أطلقت ضحكة قصيرة خبيثة ، ثم مالت نحو (منى) مستطردة :

ـ هل تعلمين أن (أدهم) قد أنقذ حياتى مرتين ؟!

غمغمت (منى) فى توتر :

ـ وأنقذ حياتى عشرات المرات .

تجاهلت (جيهان) عبارتها ، وهى تتابع فى شغف :

ـ وفى المرة الأولى فعل هذا بوسيلة مبهرة .. لقد أطلق علىّ (أندروفيتشى) النار وألقانى من طائرة هليوكوبتر من ارتفاع يزيد على العشرة أمتار ، داخل ممر (بيليجرو) ، ولكن (أدهم) انطلق يجرى كالصاروخ ، ثم وثب يلتقطنى بين ذراعيه ، ليحمينى من السقوط ، وينقذنى من الموت ..

ثم تنهّدت فى حرارة ، مكرّرة :

ـ هل يمكنك تصديق هذا ؟ التقطنى بين ذراعيه بمعجزة .

كانت (منى) تدرك أنها محاولة مباشرة لاستفزازها ، وعلى الرغم من هذا ، فلم تستطع منع تلك المرارة ، التى تصاعدت من أعماقها إلى شفتيها ، وهى تغمغم :

- بالتأكيد .

ثم التفتت إليها فى بطء ، مستطردة فى صرامة :

- ولكن هذا لا يغير من الأمر شيئًا يا (جيهان) .. (أدهم) يحبنى أنا .

انعقد حاجبا (جيهان) فى شدة ، على نحو جعل (قدرى) يبتسم ، ويقول لها ضاحكًا :

- لا بأس يا (جيهان) .. أنت بدأت هذا .

لوّحت (جيهان) بذراعها ، قائلة :

- نعم .. أنا بدأت هذا ، ولكن السؤال هو : من سيضع نهايته .. هى أم أنا .

ورمقت (منى) بنظرة صارمة ، قبل أن تضيف :

- والأيام وحدها ستجيب هذا السؤال .

قالتها ، واندفعت مغادرة الكوخ ، لتغيب وسط الظلام ، فران الصمت على المكان لدقيقة كاملة ثقيلة ، قبل أن تقول (منى) فى حزم :

- لن أواصل البقاء هنا لأكثر من هذا .

سألها (قدرى) فى دهشة :

- ماذا تعنين ؟!

أشارت بيدها قائلة :

- (أدهم) هناك ، فى (ريو دى جانيرو) .. يواجه رجال السنيورا .

ثم أضافت فى حزم :

- وهو يحتاج إلينا ..

نطقتها فى لهجة ، جعلت (قدرى) يحدّق فيها ، دون أن ينبس ببنت شفة ..

لهجة تحمل كل العناد والصلابة والتصميم ..

لهجة امرأة تحب ..

حتى النخاع ..

★ ★ ★

انتفض جسد (لاماس) فى عنف ، عندما ارتطم الماء البارد بوجهه ، وهبّ من رقاده ، وهو يهزّ رأسه فى قوة ، لينفض الماء عن شعره الأسود الطويل ، هاتفًا :

- اللعنة ! من الذى ...

قبل أن يتمّ عبارته ، وقع بصره على عينى (أدهم)

الساخرتين ، اللتين تتطلعان إليه ، وصاحبهما يقول :

ـ إنه أنا أيها الوغد ..

تحرّك (لاماس) فى سرعة ، وقفز من فراشه الصغير ، لينقضّ على (أدهم) ، إلا أن هذا الأخير تفادى الانقضاضة فى خفة وبساطة ، ثم لكم (لاماس) فى معدته لكمة كالمطرقة ، انثنى لها الشاب فى قوة ، وهو يطلق شهقة عنيفة ، قبل أن تنطلق قبضة (أدهم) الثانية ، لتضرب فكه كالقنبلة ، وتعيده إلى الفراش كالقذيفة ..

ولأن (لاماس) تربّى فى شوارع وجبال (بوليفيا) ويدرك جيدًا قيمة القوة ، فقد ظلّ على الفراش ، يتحسّس فكه فى ألم متوتر ، ويتطلّع إلى (أدهم) كقط شرس ، يواجه خصمًا يفوقه قوة بمرات ومرات ..

وبنفس اللهجة الساخرة ، وبهدوء مستفز ، مال (أدهم) نحوه ، قائلاً :

ـ لا داعى للتوتر أيها الوغد .. ولا داعى أيضًا لأن نضيع الكثير من الوقت ، فى لكمات وركلات مؤلمة ، ولننه الأمر فى لحظة واحدة ، فكل ما أريده منك هو جواب لسؤال واحد .

زمجر (لاماس) فى عصبية ، قائلاً :

ـ لو أنه سؤال يتعلق بالسنيورا ، فلن تحصل منى على حرف واحد .

ضمّ (أدهم) قبضته قائلاً فى سخرية :

ـ هل تراهن ؟!

رفع (لاماس) يده ، ليمسح خيط الدم ، الذى يسيل من طرف شفتيه ، وهو يجيب فى حدة :

ـ نعم .. أراهن أيها المصرى .. لقد تربيت فى الشوارع والجبال ، وواجهت رجال العصابات الشرسة ، وذئاب الجبال المفترسة ، وقوات شرطة مكافحة المخدرات العنيفة ، ولم يعد الألم يرهبنى .

استلّ (أدهم) مسدسه من غمده ، وصوّبه إلى جبهته ، قائلاً فى صرامة :

ـ وماذا عن الموت ؟!

أجابه الشاب فى حدة :

ـ إنه أمر أنتظره فى كل لحظة ، منذ امتهنت هذه المهنة .

كان من الواضح أن الشاب صلب ، عنيد ، صعب المراس بالفعل ، حتى إن (أدهم) خفض فوهة مسدسه



استلَّ (أدهم) مسدسه من غمده ، وصوَّبه إلى جبهته ، قائلاً فى صرمة :
ـ وماذا عن الموت ؟! ..

فى هدوء ، وهو يقول فى صرامة مخيفة :

ـ وماذا عن وسيلة الموت ؟!

تضاعف التوتر المطلّ من عينى الشاب ، على نحو ملحوظ ، وتحفّزت كل خلية من خلاياه فى شراسة ، وهو يتحرّك فى عصبية ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فتابع (أدهم) بنفس اللهجة ، التى تجمّد الدماء فى العروق :

ـ صحيح أن رفاقك يقلبون الفندق رأسًا على عقب الآن ، بحثًا عنى وعنك ، ولكن هذا لن يمنع من حصولنا على بعض الوقت ، قبل توصّلهم إلى موقعنا ، وسيؤسفنى أن يصلوا ، فيجدوا جلدك مسلوخًا ، وأنت تصرخ فى قوة ، من فرط آلام رهيبة ، لا يمكنك حتى تصوّرها .

أطلق (لاماس) ضحكة عصبية ، وهو يقول :

ـ لا .. لن يمكنك خداعى بهذا أيها المصرى .. كلنا نعرف قوتك ومهاراتك ، ولكننا نعلم أيضًا أنك رجل شريف .. فارس من فرسان هذا الزمان ، الذين تمنعهم مشاعرهم الرقيقة من إيذاء الآخرين بعنف أو قسوة .

رمقه (أدهم) بنظرة صامتة صارمة طويلة ، قبل أن ينتزع من حزامه خنجرًا حادًا ، وهو يقول :

ـ ألم يخبروك أيضًا أننى اعتدت مباغتة الجميع بما لا يتوقعونه قط .

انعقد حاجبا (لاماس) فى شدة ، ووثبَ ينقضَّ على (أدهم) صائحًا :

ـ أيها الـ ..

كانت انقضاضته سريعة مباغتة بالفعل ، شأن كل مقاتلى الشوارع ، الذين اكتسبوا خبراتهم العشوائية من صراعاتهم العنيفة الشرسة ، فى الشوارع الخلفية ..

وهذا النوع من الأساليب القتالية ، عنيف وقاس للغاية ، حتى إن أحدًا لا يصمد أمامه فى المعتاد ..

إلا إذا كان محترفًا ..

وعندما نتحدَّث عن رجل مثل (أدهم صبرى) ، فإننا نتحدَّث عن شخص أكثر من مجرَّد محترف ..

إننا نتحدث عن خبير فى مضماره ..

خبير يندر أن يجود الزمان بمثله ..

ولأنه مقاتل خبير ، ورجل مخابرات محنَّك ، كان (أدهم) يتوقَّع رد فعل كهذا ، لذا فقد استقبل انقضاضة

(لاماس) بمثلها ، والتقط قبضة هذا الأخير فى راحته ، ثم هوى على فكه بلكمتين متعاقبتين ، قبل أن يدور حوله فى خفة مدهشة ، ويلوى ذراعه خلف ظهره ، ويدفعه أمامه فى قوة ، حتى ارتطم بالجدار فى عنف ، و (أدهم) يسأله فى صرامة شديدة :

ـ أين مقرّ السنيورا ؟! أين هى ؟!

صاح (لاماس) :

ـ لا يمكننى أن أخبرك أبدًا .

لكمه (أدهم) فى عاموده الفقرى فى قوة ، صائحًا :

ـ أين هى ؟!

كانت اللكمة مؤلمة للغاية ، حتى إن البوليفى أطلق صرخة قويَّة ، وهتف :

ـ لا يمكنك أن تفعل بى هذا .. لا يمكنك .

كرَّر (أدهم) لكمته فى عنف أكثر ، وهو يكرِّر سؤاله :

ـ أين السنيورا ؟!

صرخ (لاماس) ، وهو يكاد يفقد وعيه من شدة الألم :

ـ لا يمكننى أن أخبرك .. لا يمكننى ..

قبل أن يتمّ عبارته ، ارتفع فجأة صوت (أندروفيتشى) ، عبر أجهزة البث الصوتية ، المنتشرة فى كل ركن بالفندق ، وهو يقول باللغة العربية ، وبلهجة صارمة :

- (أدهم صبرى) .. أنا واثق من أنك تسمعنى جيدًا .. أيا كان المكان ، الذى توجد به الآن ، فهذه الشبكة موزعة بحيث تنقل المعزوفات الموسيقية ، إلى كل مكان هنا .

اعتدل (أدهم) ، مغمغمًا بالعربية :

- نعم .. أسمعك جيدًا أيها الوغد .

لم يسمع (أندروفيتشى) هذه العبارة بالطبع ، لذا فقد تابع بنفس الصرامة :

- أعلم أنك تحتجز (لاماس) ، وتحاول انتزاع المعلومات منه بأية وسيلة ، ولكننى أعلم أيضًا أن ذلك الوغد أكثر صلابة مما قد يتصورُ الجميع ، وأنه من العسير جدًّا أن تجبره على البوح بما لديه .. ولكن لا عليك .. لست أتحدَّث إليك للتغزُّل فى قوة (لاماس) وصلابته ، ولكننى أردت أن أخبرك أن قواعد اللعبة قد تغيرت ، اعتبارًا من هذه اللحظة .

هتف (لاماس) فى عصبية :

- إنه القائد .. وهو يتحدَّث عنى ، بلغة لا أفهم حرفًا واحدًا منها .. ماذا يقول :

جذبه (أدهم) من كتفه فى قوة ، ليجبره على مواجهته ، وهو يقول فى صرامة :

- يقول لك : ابتعد عن اللعبة الآن .

قالها ، وهوى على فكه بلكمة كالقنبلة ، جعلت رأسه يرتطم بالجدار فى عنف ، قبل أن يسقط عند قدمى (أدهم) فاقد الوعى ، فى نفس اللحظة ، التى تابع فيها (أندروفيتشى) ، عبْر شبكة الموسيقى :

- ربما لا يمكننا التوصل إليك فى سهولة ، ولكننا نستطيع التوصُّل إلى كل شخص آخر ، فى هذا الفندق .

انعقد حاجبا (أدهم) ، وهو يتمتم فى شىء من القلق :

- ما الذى يعنيه هذا الوغد بالضبط ؟!

تابع (أندروفيتشى) ، وقد تسلَّلت إلى صرامته نبرة متشفية هذا المرة :

- لقد أسرنا عشرة من رواد الفندق فى حجرتى ،

وسنقوم بإعدام واحد منهم ، كل عشر دقائق ، ما لم تسلم نفسك لنا .

وأطلق ضحكة مجلجلة ، قبل أن يتابع :

ـ وأنا أعلم أنك لن تستطيع احتمال هذا ، ياذا القلب المرهف .. تاريخك كله يؤكد أنك لا تقبل بمصرع برىء واحد ، حتى لو كانت حياتك هى الثمن .

ثم أطلق ضحكة ثانية ساخرة شامتة ، ازداد لها انعقاد حاجبى (أدهم) ، وهو يستطرد :

ـ واطمئن أيها المصرى .. حديثى بالعربية لن يفهمه أحد هنا ، والجميع سيتصوَّرون أنها واحدة من فقرات الحفل .. أليس كذلك ؟! تذكر يا رجل .. قتيل كل عشر دقائق .. وبالمناسبة .. إنهم خليط منتقى بعناية فائقة ، من النساء والشيوخ والصبية ، ولن يغمض لك جفن ، ما بقى لك من العمر ، لو تأخَّرت لحظة واحدة ، ونسفت أنا رأس أحدهم .. أنا فى انتظارك يا (أدهم صبرى) ، وواثق من أنك ستأتى .. واثق تمام الثقة ..

جلجلت ضحكته الأخيرة ، عبر الشبكة الموسيقية ، فى كل مكان بالفندق ، وهو واثق من أنه قد توصَّل بالفعل إلى نقطة ضعف (أدهم) ..

نقطة ضعفه الوحيدة ..

★ ★ ★

« رائع .. لقد أنجزتما العمل بسرعة مدهشة بحق .. »

نطق تاجر السلاح (جوانيتو) هذه العبارة ، فى انبهار حقيقى ، وهو يتطلَّع إلى الزى القتالى ، الذى قدَّمه إليه (سواتر) و (كاندى) ، والمعروف باسم (مشروع السوبرمان) ، ثم اقترب منه ، يتحسَّسه فى انفعال ، مستطردًا :

ـ كنت أتوقَّع أن أتسلَّمه صباح الغد .

هزَّ (سواتر) كتفيه ، وهو يشعل سيجارته ، قائلاً :

ـ إن لنا سمعتنا يا (جوانيتو) ، ولقد اعتدنا تسليم بضاعتنا قبل الموعد المحدَّد .

ثم استدرك فى سرعة :

ـ ما دام العميل يدفع بسخاء .

قهقه (جوانيتو) ضاحكًا ، وقال :

ـ بالطبع يا رجل .. بالطبع .. المال يصنع المعجزات .

نفث (سواتر) دخان سيجارته ، وغمز بعينه لزميله (كاندى) ، قبل أن يقول :

ـ ما دمت قد تحدَّثت عن النقود .. دعنى أذكرك أنك مازلت مدينًا لنا برقم تسبقه ستة أصفار .

أشار (جوانيتو) بسبابته ، قائلاً فى رصانة مضحكة :
- ليس قبل أن نختبر ذلك (السوبرمان) يا عزيزى (سواتر) .
والتفت إلى (كاندى) ، مستطردًا بابتسامة صفراء مقيتة :
- أليس كذلك يا (كاندى) ؟!
امتقع وجه (كاندى) وهو يتمتم :
- بالتأكيد يا مستر (جوانيتو) .. بالتأكيد .
استدار (جوانيتو) مرة أخرى إلى (سواتر) ، الذى نفث دخان سيجارته فى برود ، وقال :
- لا بأس يا (جوانيتو) .. اختبر الزى كما يحلو لك ، ولكن لا تضع الكثير من وقتنا ، فلست أتميَّز بالصبر .
ابتسم (جوانيتو) ابتسامة كبيرة ، ثم أشار إلى أحد رجاله ، قائلاً بلهجة آمرة :
- ارتد هذا الزى .
أطاعه الرجل دون مناقشة ، وراح يرتدى زى مشروع (السوبرمان) ، وما إن انتهى من ارتدائه ، حتى سأله (جوانيتو) فى اهتمام :

- هل يمكنك أن ترتفع به فى الهواء ؟
أجابه الرجل فى لهفة واضحة :
- هذا يبدو سهلاً يا زعيم .
وبضغطة زر بسيطة ، انطلقت النفاثات فى ظهر الزى ، وارتفع الرجل عن الأرض ، وراح يدور فى الهواء ، و (جوانيتو) يتابعه مبهورًا ، فى حين بدا التوتر على وجه (كاندى) ، وكأنما يخشى أن يسقط الرجل فجأة ، على عكس (سواتر) ، الذى بدا شديد الثقة ، وهو يقول :
- أرأيت يا (جوانيتو) .. هذا الزى المدهش بحق .. وعلى الرغم من مناعته ، وقدرته المدهشة على المناورة ، وكم الأسلحة التى يمتلكها ، إلا أن العبقرية الحقيقية تكمن فى سهولة التحكم فيه ، وفى أسلحته المختلفة ، حتى إن طفلاً صغيرًا يمكنه قيادة ، ومواجهة فرقة كاملة به .
تألقت عينا (جوانيتو) فى انبهار حقيقى ، وهو يقول :
- إنه سلاح رائع .. رائع بحق .
ثم هتف بالرجل ، الذى يحلق فى الهواء :

- هل يمكنك نسف تلك الأهداف هناك يا رجل ؟

أجابه الرجل فى حماس :

- بالطبع أيها الزعيم .

قالها ، وهو ينطلق نحو الأهداف بالفعل ، وما إن فتح قاعدة أزرار الإطلاق ، حتى هبط جزء من الخوذة الواقية أمام عينيه ، حاملاً منظار تصويب مقرّبًا ، استخدمه وهو يطلق الصواريخ نحو الأهداف ، وينسفها واحدًا بعد الآخر ، فلوّح (جوانيتو) بقبضته فى الهواء ، صارخًا بكل انفعاله :

- هكذا يكون السلاح .

ابتسم (سواتر) ، وتبادل نظرة سريعة مع (كاندى) ، قبل أن يقول :

- والآن ماذا عن نقودنا يا (جوانيتو) ؟!

التفت إليه (جوانيتو) ، وهو يشير للرجل بالهبوط ، قائلاً فى حماس :

- لن تحصلا على نقودكما وحدها يا رجل ، وإنما على مكافأة سخية أيضًا ، و ...

ومال نحو (سواتر) ، وغمز بعينه ، مضيفًا :

- وعلى عقد جديد أيضًا .

اتسعت عينا (كاندى) فى دهشة متوترة ، فى حين ابتسم (سواتر) فى ثقة ، وقال :

- كم قطعة إضافية تطلب يا (جوانيتو) ؟

برقت عينا (جوانيتو) ، وهو يجيب :

- خمس قطع أخرى .. وسأدفع أكثر من الثمن المطلوب .

ثم استدرك فى سرعة وصرامة :

- على أن أحتكر هذا السلاح وحدى .

مطّ (سواتر) شفتيه ، وقال :

- آه .. أخشى أن هذا لم يعد ممكنًا يا (جوانيتو) ، فلدينا عميلة أخرى ، لا يمكننا رفض مطلبها ، ولقد قمنا بشحن أوّل نسخة من سلاحنا إليها ، فور إنتاجه .

عقد (جوانيتو) حاجبيه فى صرامة ، قائلاً :

- أتقصد تلك المأفونة ، التى تطلق على نفسها اسم (السنيورا) ؟!

هتف (كاندى) فى دهشة :

- يا للشيطان ! كيف عرفت هذا ؟!

وانعقد حاجبا (سواتر) فى شدة ، وهو يقول :

- السنيورا امرأة شديدة القوة والخطورة يا (جوانيتو) ، ومن الحماقة أن تصفها بالمأفونة :

قال (جوانيتو) فى حدة :

ـ إنها مجرَّد امرأة ، والنساء لا تصلحن لقيادة العصابات الكبيرة .

قال (سواتر) فى صرامة :

ـ إلا هذه المرأة .. إنها تختلف .

قهقه (جوانيتو) ضاحكًا ، قبل أن يقول فى أسلوب فظ :

ـ كل النساء تتشابهن ، وكلهن ..

قبل أن يتمّ عبارته ، ارتفع فجأة صوت يهتف :

ـ شرطة فيدرالية .. ألقوا أسلحتكم وسلّموا أنفسكم .

انطلق الهتاف ، لتنفجر قنبلة من الفوضى فجأة فى المكان ، فيصرخ (جوانيتو) :

ـ خيانة .

وانتزع رجاله مدافعهم الآلية ، فى حين جذب (سواتر) (كاندى) فى قوة هاتفًا :

ـ ياللشيطان ! كيف حدث هذا ؟!

قبل حتى أن يكتمل هتافه ، كانت الرصاصات تنطلق وتدوى فى كل مكان بلا هوادة ..

وسقط معظم رجال (جوانيتو) مع الضربة الأولى ،

فى حين انطلق هذا الأخير يعدو نحو سيارته ، وهو يهتف بالرجل ، الذى مازال يرتدى مشروع (السوبر مان) :

ـ احم ظهرى يا رجل .. امنعهم من الظفر بى .

عاد الرجل يرتفع بالزى فى سرعة ، وظهرت أمامه خمس من سيارات الشرطة الفيدرالية ، وأكثر من عشرين رجلاً ، يطلقون النار على رفاقه ، فانطلق نحوهم ، وضغط زر الإطلاق ، و ...

ودوت الانفجارات ..

سيارات الشرطة راحت تنسفها أسلحة مشروع (السوبر مان) ، واحدة بعد الأخرى ، والرجال يطلقون نيران مسدساتهم نحو ذلك الرجل ، الذى يحلِّق فوق رءوسهم ، ولكن رصاصاتهم كانت ترتدّ عنه فى عنف ، حتى إن المفتش (بيكسبى) هتف مشدوهًا :

ـ ما هذا الشىء بالضبط ؟! إنه قادر على سحقنا جميعًا بلا رحمة .

وكان على حق تمامًا ، فقد انطلق ذلك الرجل يحصد رجال الشرطة بلا هوادة ، ورصاصاتهم لا تؤثر فيه

أدنى تأثير ، مما دفع (بيكسبى) إلى أن يشير بيده ، هاتفًا :

- تراجعوا .. لا فائدة من القتال .. تراجعوا .

تراجع رجال الشرطة فى ذعر واضح ، فتوقف الرجل لحظة فى الهواء ، وكأنما يلقى نظرة أخيرة على انتصاره الساحق ، ثم لم يلبث أن انطلق ، محاولاً اللحاق بزعيمه ، تاركًا خلفه آثار مذبحة كاملة ..

وفى ذهول شديد التوتر ، تابع المفتش (بيكسبى) ابتعاد ذلك (السوبرمان) ، وهو يكرر : رباه ! ما هذا بالضبط ؟! ما هذا ؟!

وراح سؤاله يدوى فى أعماق رأسه بلا رحمة ..

بلا هوادة ..

وبلا جواب ..

★ ★ ★

تنحنح (كوادروس) فى خشونة ، وهو يصوب مدفعه الآلى إلى الرهائن العشر ، الذين تملكهم فزع هائل ، وقال فى عصبية :

- هل تعتقد أنه سيأتى أيها القائد ؟!

صمت (أندروفيتشى) لحظة ، قبل أن يجيب فى حزم :

- إنه ليس غبيًا .. سيدرك على الفور أنه فخ لاصطياده ، ولكنه لن يسلم نفسه لنا بهذه البساطة .. سيحاول الفوز بالأمرين معًا .. تحرير الرهائن ، والانتصار علينا فى آن واحد .

قال (كوادروس) فى حدة :

- أقسم أن أنسف رءوسهم جميعًا ، قبل أن ينقذ أحدهم .

أشار (أندروفيتشى) بيده ، قائلاً :

- المهم أنه سيحاول ، وهذا كل ما ننشده .. أريده أن يضع خطة محكمة ، وأن يدرسها بمنتهى الدقة والبراعة كعادته ، ثم يهاجمنا .

وابتسم فى سخرية ، مستطردًا :

- فى حجرتى بالطابق الثالث .

أومأ (كوادروس) برأسه عدة مرات فى انفعال ، قائلاً :

- بالطبع أيها القائد .. بالطبع .

انتحبت إحدى الرهائن بصوت مرتفع ، فى تلك اللحظة ، وبكت قائلة فى ضراعة :

- لماذا تحتجزوننا هنا ؟! ماذا فعلنا ؟! لقد أتينا للاحتفال بالمهرجان فحسب !

صاح فيها (كوادروس) فى شراسة :

- اصمتى يا امرأة .

بكت المرأة أكثر ، وهى تهتف :

- لا أريد أن أموت .. أرجوك .. أنا لم أفعل شيئًا .

انقضّ (كوادروس) عليها فى وحشية ، وجذبها من شعرها فى قسوة ، وهو يلصق فوهة مدفعه بصدغها ، صائحًا :

- اصمتى أو أجبرك على الصمت إلى الأبد .. هل تفهمين ؟!

صرخت المرأة فى رعب ، وكتمت فمها بكفيها ، وهى تنتحب بصوت مكتوم ، ودموعها تغرق وجهها كالسيل ، وعيناها تتطلّعان إلى (كوادروس) فى خوف هائل ، فأطلق (أندروفيتشى) ضحكة طويلة ، وقال :

- رويدك يا (كوادروس) .. المرأة تكاد تموت ذعرًا .

أجابه (كوادروس) فى عصبية :

- معذرة أيها القائد ، ولكن أعصابى ثائرة للغاية .

وافقه (أندورفيتشى) بإيماءة من رأسه ، قائلاً :

- كلنا هذا الرجل يا (كوادروس) .. كلنا هذا الرجل .

ثم ألقى نظرة سريعة على ساعته ، قبل أن يستطرد فى حزم :

- ولكن كل هذا سينتهى فى غضون تسع دقائق فحسب .

سأله (كوادروس) فى عصبية :

- ولماذا تثق بهذا الأمر هكذا ؟!

لوّح (أندورفيتشى) بيده فى ثقة ، قائلاً :

- إننى أعرف هذا الرجل جيدًا ، وهو لن يسمح بموت برىء واحد ، مادام فى استطاعته إنقاذه ، وسيبذل قصارى جهده لإنقاذ الجميع .

قال (كوادروس) :

- ولكنك تقول إنه بارع وذكى .

أجابه الروسى بابتسامة واثقة :

- وهذا ما أعتمد عليه تمامًا .

ثم اعتدل فى مجلسه ، متابعًا :

- عندما تحدّثت إليه ، أخبرته أننى أحتفظ بالرهائن فى حجرتى ، وهو لن يصدّق هذا بسهولة ، وسيدرك

أننى مادمت أتحدَّث إليه ، عبر الشبكة الموسيقية للفندق ، فهذا يعنى أننى داخل حجرة التوزيع الرئيسية ، وسيسعى لمعرفة موقعها ، ثم يعدّ خطة عبقرية سريعة لمهاجمتها ، ولقد درست تلك الحجرة جيدًا ، وأدرك أنه لا يوجد سوى مدخل واحد لها ، بخلاف بابها ، وهو النافذة المطلّة على ممر التهوية للفندق ، وأنا واثق من أنه سيحاول اقتحام تلك النافذة ، ليباغتنا بهجوم عنيف ، وينقذ الرهائن ، وأنه سيفعل هذا قبل مضى الدقائق العشر ، التى حددناها ، لقتل أولى رهائننا .. وأكاد أتخيَّل ما سيحدث بالضبط .

ولوَّح بذراعيه فى الهواء ، وكأنه يرسم صورة وهمية ، متابعًا :

ـ (أدهم) سيهبط من الممر الهوائى الخلفى للفندق ، ثم ينقضّ على النافذة ، ويحطمها ، و ...

بتر حديثه ، ليطلق من بين شفتيه صوتًا أشبه بالانفجار ، ثم يبتسم ، قائلاً :

ـ وينتهى كل شىء .

ارتسمت ابتسامة مهتزّة على شفتى (كوادروس) ، وهو يغمغم مكررًا ..

ـ نعم .. ينتهى كل شىء ..

قالها ، وعيناه معلقتان بساعة كبيرة على الجدار ، بدا له أن عقرب ثوانيها وكأنه يسير فى بطء شديد .. ومخيف ..

* * *

لم يكد صوت (أندروفيتشى) ينقطع ، وتعود الموسيقى إلى الشبكة ، حتى تحرَّك (أدهم) فى سرعة مدهشة ، وهو يدرك أن الروسى يعنى كل حرف نطق به ، وأنه قد أسر بالفعل عشرة من رواد الفندق الأبرياء ، ولن يتورَّع عن نسفهم نسفًا ، لو لم يظفر به ..

ولم يكن الأمر يحتاج إلى ذكاء كبير ، ليعرف أنها لعبة جديدة لاصطياده ..

وأن (أندروفيتشى) يدرك جيدًا أنه لن يستسلم دون مقاومة ..

وهذا يعنى أنه قد أعدّ له فخًّا ما ..

فخ يكفى للإيقاع به ، إذا ما حاول التسلُّل من الأبواب الخلفية ، لإنقاذ الرهائن ..

وأمام كمبيوتر صغير ، فى المكان الذى أخفى فيه

(لاماس) ، جلس (أدهم) يدرس موقفـه بسـرعة البرق ..

(أندروفيتشى) قال : إنه يحتفظ بالرهائن فى حجرتـه ، وهذا يعنـى ، طبقـا للقواعد الاستراتيجية الخداعيـة ، أنهم ليسوا فى هذا المكان بالتحديد ..

ولكنـه تحدَّث إليـه عبر الشبكة الموسيقية ، ممـا يشير إلى أنه داخل حجرة التوزيع الرئيسية ، و ...

ولكن مهلاً ..

أوقف مشاعره وأفكاره كلهـا ، وهـو يضرب أزرار الكمبيوتر ، ليرتسم أمامه رسم هندسىّ للفنـدق ، بكل ممراته وحجراته وطوابقه ..

هاهى ذى حجرة التوزيع الرئيسى ، لها باب واحـد ، ونافذة واحدة ..

الباب يتصل بممر العاملين ، فى الطابق الأرضـى ، والنافذة تطلّ على ممر التهوية الرئيسى ..

هذا هو أفضل مكان يمكن أن يحتفظ فيـه الروسى برهائنه ..

ولكن ..

قبـل أن يتمّ عبارته ، انقضّ عليـه (لاماس) فجأة

من الخلف ، وأحاط عنقه بساعده ، صائحًا فى غضب هادر :

ـ لن يمكنك التخلُّص منى بسهولة أيها المصرى .

كانت مفاجأة حقيقية لـ (أدهم) تثبت أن الشاب صلب الرأس بالفعل ، وأن سنوات قتال الشـوارع الطويلـة ، قد صنعت منه ذئبًا بشريًا شرسًا ، لا تكفى لكمة قوية ، أو ضربة رأس عنيفة ، لإفقاده الوعى طويلاً :

ولكن (أدهم) كان مقاتلاً أكثر من محترف ..

وليس من السهل أبدًا إفقاده اتزانه ..

مهما بلغ عنف مفاجآته ..

لـذا ، فقـد تحـرَّك بسـرعة مدهشــة ، فـور تعلُّـق (لامـاس) بعنقـه ، وأدار يده خلف ظهـره ، ليقبـض على عنق هذا الأخير ، وجذبه فى قوة ، فألقاه أمامـه فى عنف ، وهو يقول فى صرامة :

ـ وكذلك أنا أيها الوغد .

ارتطم (لاماس) بالكمبيوتر ، وسقط الاثنــان أرضًـا فى عنـف ، فتحطـم الجهـاز بـدوى عنيـف ، ولكـن (لاماس) قفز واقفًا على قدميه فى سرعة ، وأطلـق قبضته نحو (أدهم) ، الذى تفاداها بميل رشيق سريع ،



ارتطم (لاماس) بالكمبيوتر ، وسقط الاثنان أرضًا فى عنف ..

ثم قبض على معصم (لاماس) ، وأداره فى مهارة ، فوثب جسد البوليفى إلى الأمام ، ودار حول نفسه رأسيًا ، قبل أن يرتطم بالأرض فى عنف ، وعلى الرغم من هذا ، فقد حاول النهوض مرة أخرى ، لولا أن ركله (أدهم) فى أنفه بقوة ، قائلاً :

ـ معذرة أيها الوغد .. سأنهى القتال بسرعة هذه المرة .

ثم هبط على إحدى ركبتيه ، ليلكمه لكمة كالقنبلة ، مستطردًا :

ـ فالوقت ثمين للغاية هذه المرة .

جحظت عينا (لاماس) هذه المرة ، وانطلقت من حلقه شهقة عنيفة ، ثم هوى فاقد الوعى ..

ولم يضع (أدهم) ثانية واحدة إضافية ..

لقد ألقى نظرة على ساعته ، وهو ينهض فى سرعة ، فأدرك أنه لم يتبق أمامه سوى سبع دقائق فحسب ..

سبع دقائق ، لابد أن يتوصّل خلالها إلى موقع (أندروفيتشى) والرهائن ، قبل أن يسيل الدم فى الفندق ..

نهر الدم ..

ولكن الكمبيوتر تحطَّم ، ولم يعد بإمكانه فحص الفندق وحجراته ..

أو تحديد موقع خصومه ..

والوقت يمضى فى سرعة ..

ويمضى ..

ويمضى ..

بلا أمل .

★ ★ ★

٣ـ وتمضى الدقائق ..

« مشروع (السوبرمان) ؟! »

امتقع وجه الجنرال (دوايت) فى شدة ، وارتجفت شفتاه على نحو يثير الشفقة ، وهو ينطق العبارة ، قبل أن تتخاذل ساقاه ، ويعجز عن الوقوف أمام المفتش (بيكسبى) ، فيهوى جالسًا على مقعده ، مرددًا :

ـ إنها مصيبة !! كارثة !!

أجابه المفتش فى قسوة :

ـ هذا رأيى أيضًا يا جنرال ، فلقد خضت التجربة بنفسى ، وشاهدت ما يمكن أن يفعله ذلك السلاح الرهيب ، وفى رأيى أن الأمر خطير للغاية .

غامت عينا الجنرال (دوايت) بضع لحظات ، وبدا كأنه يعانى عذابات الدنيا كلها ، وهو يقول :

ـ ولكن كيف ؟! كيف فعل (ألسكندر) هذا ؟! إنه يعلم أن هذا السلاح يعدَ أخطر أسلحتنا على الإطلاق !! لماذا خاننا على هذا النحو ؟!

لوّح المفتش فى وجهه بغضب ، قائلاً :

ـ كان ينبغى أن تلقى هذه الأسئلة على نفسك منذ زمن طويل يا جنرال ، قبل أن يتسرّب سر أخطر أسلحتنا إلى رجل عصابات ، وتاجر سلاح رهيب ، مثل (جوانيتو) .. لقد كانت لديه ثلاث نسخ من ذلك الزى العجيب ، ولولا تدخلنا لظفر بها كلها .. ومن حسن حظنا أنه فاز بنسخة واحدة فحسب ، ولكن هذه النسخة الواحدة كبدتنا خسائر فادحة .

رفع الجنرال عينيه إليه ، قائلاً :

ـ لو أنه يجيد استخدامها ، لما بقى أحدكم على قيد الحياة .

اتسعت عينا (بيكسبى) فى دهشة ، وهو يقول مستنكرًا :

ـ أهذا كل ما لديك ؟!

ثم تفجّر غضبه كله دفعة واحدة ، وصاح فى وجهه :

ـ هذه هى الكارثة الحقيقية يا جنرال .. أن يضعوا أخطر أسلحة القرن فى عهدة رجل مثلك .

انتفض الجنرال (دوايت) فى مقعده ، وصاح :

ـ احترس أيها المفتش .. إنك تتحدّث إلى جنرال فى الجيش الأمريكى .

صاح (بيكسبى) :

ـ جنرال تسبّب فى كارثة .

صرخ الجنرال :

ـ ليس من سلطتك أن تتدخّل فى أمر كهذا .. إنك مجرّد ضابط شرطة فيدرالى ، ولم يكن من المفترض حتى أن تسمع عن وجود سلاح كهذا .

احتقن وجه (بيكسبى) فى شدة ، وهو يقول :

ـ إنك .. إنك ..

قاطعه بغتة صوت صارم قاس ، يقول :

ـ الجنرال على حق أيها المفتش .

استدار (بيكسبى) فى حركة حادة سريعة إلى مصدر الصوت ، وكذلك فعل الجنرال (دوايت) ، وحدّق الاثنان فى رجل ممشوق القوام ، صارم الملامح ، يقف عند باب الحجرة ، وخلفه مدير مكتب الجنرال ، الذى تطلّ الرهبة مع التوتر من ملامحه ، على نحو يشفّ عن أهمية وخطورة ذلك القادم ، الذى سأله المفتش (بيكسبى) فى عصبية :

ـ من أنت بالضبط ؟!

أبرز الرجل بطاقة مغنطيسية خاصة للغاية ، وهو يجيب بنفس الصرامة القاسية :

ـ (جون ماكلوسكى) .. من القسم الخاص بالمخابرات المركزية الأمريكية .. إننى أتولى القضية ، من هذه اللحظة .

احتقن وجه الجنرال (دوايت) فى شدة ، وتراجع مردِّدًا فى ارتياع :

ـ يا إلهى ؟ يا إلهى !

فى حين غمغم المفتش (بيكسبى) مبهوتًا :

ـ تتولى القضية ؟!

أعاد (ماكلوسكى) البطاقة إلى جيبه ، قائلاً فى صرامة :

ـ نعم أيها المفتش .. لقد انتهى دور الشرطة الفيدرالية فى هذه القضية ، بأمر الرئيس الأمريكى مباشرة .. إنها لم تعد مجرَّد قضية قتل ، ولكنها قضية أمن عليا ، على أعلى درجة من الخطورة والسرية ، ولم يعد من المسموح بتداولها ، إلا بين الحجرات المغلقة للقسم الخاص وحده .

تمتم الجنرال فى ذعر :

ـ إلى هذا الحد ؟!

وقال (بيكسبى) :

ـ هل تعنى أن ...

قاطعه (ماكلوسكى) بصرامته القاسية :

ـ نعم .. هذا ما أعنيه أيها المفتش .. احزم حقائبك ، وعد إلى منزلك .. لقد انتهى دورك .

قال المفتش فى عصبية :

ـ وماذا عن (سواتر) و (كاندى) ؟! إننى أطاردهما منذ .

قاطعه (ماكلوسكى) مرة أخرى فى صرامة شديدة :

ـ عد إلى منزلك أيها المفتش .

ثم أخرج واحدة من سجائره ، وأشعلها فى بطء ، مستطردًا :

ـ سنتولى نحن كل شىء ، منذ هذه اللحظة .

ونفث دخان السيجارة فى قوة ، قبل أن يضيف ، بنفس الصرامة القاسية :

ـ كل شىء .

رمقه المفتش (بيكسبى) بنظرة عصبية طويلة ، ثم أدار عينيه إلى الجنرال لحظة ، قبل أن يقول فى حنق واضح :

- فليكن .. هذا يعفينى من المسئولية على الأقل .

راح (ماكلوسكى) ينفث دخان سيجارته فى صمت ، حتى لملم المفتش (بيكسبى) أوراقه ، وغادر الحجرة ، وأغلق بابها خلفه ، ثم التفت إلى الجنرال (دوايت) الذى بدأ أقرب إلى الانهيار ، وقال :

- والآن يا جنرال ، ستقصّ علىّ كل ما تعرفه عن مساعدك (ألكسندر) ، دون أن تهمل شيئًا مهما بدا لك تافهًا بسيطًا .

تمتم (دوايت) فى انهيار :

- ما الذى يحدث بالضبط ؟!

هزّ (ماكلوسكى) رأسه نفيًا فى بطء ، ونفث دخان سيجارته فى وجه الجنرال ، وهو يجيب :

- الأمر انتقل إلى أقصى درجات السرية المطلقة يا جنرال ، ولم يعد من حقك حتى مجرّد معرفته ، خاصة وأنت مجرّد جنرال ..

وصمت لحظة وهو يرمقه بنظرة قاسية ، قبل أن يضيف فى صرامة شديدة :

- سابق ..

وهنا انهار (دوايت) ..

انهار بحق ..

* * *

توتّرت كل خلية من خلايا (كوادروس) بشدة ، وهو يتطلّع إلى الساعة الكبيرة على الجدار ، قائلاً :

- دقيقتان فحسب وينتهى الوقت المحدّد أيها القائد.

أجابه (أندروفيتشى) فى هدوء ، وهو يجلس على مقعد وثير ، متطلعًا إلى الرهائن فى برود :

- (أدهم) لن يهجم إلا فى اللحظات الأخيرة يا رجل .

قال (كوادروس) فى عصبية :

- وماذا لو لم يفعل ؟!

ألقى (أندروفيتشى) نظرة أخرى على الرهائن ، قبل أن يجيب فى حزم :

- سننفذ ما وعدنا به ، ونقتل أحد هؤلاء .

انعقد حاجبا (كوادروس) فى شدة ، وهو يقول :

- سأقتل هذه المرأة أوّلاً .. لقد سئمت بكاءها ونحيبها.

اتسعت عينا المرأة فى رعب هائل ، وكتمت فمها بكفيها أكثر وأكثر ، محاولة كتمان نحيبها ، إلا أن دموعها لم تتوقّف عن الانهمار فى غزارة على نحو مثير للشفقة .

ولكن ذرة واحدة من المشاعر لم تتحرك ، فى أعماق الروسى ، الذى غمغم :

ـ لا بأس .

ثم أدار عينيه إلى الساعة الكبيرة بدوره ، متابعًا :

ـ ولكننى واثق من أن صديقنا (أدهم) لن يخذلنى قط .. إنه سيتحرك بالسرعة اللازمة ، وسيهاجم حجرة التوزيع الرئيسية .

سأله (كوادروس) :

ـ هل ننصرف لو فعلها ؟!

صمت (أندروفيتشى) لحظة ، ثم لوَّح بكفه ، مجيبًا :

ـ سنواصل الاحتفال بالمهرجان أوَّلاً ، ثم نرحل فى الصباح الباكر .

أشار (كوادروس) بطرف مدفعه إلى الرهائن ، قائلاً :

ـ وماذا عنهم ؟!

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتى الروسى ، وهو يقول :

ـ ماذا عنهم ؟!

لم يفهم (كوادروس) ما يعنيه فى البداية ، فانعقد حاجباه بضع لحظات فى شدة ، ثم لم يلبث أن هتف ، وقد تهلَّلت أساريره كوحش مفترس ، عثر أخيرًا على فريسة دسمة ، بعد جوع طويل :

ـ آه .. فهمت .

لم يكد يتمَّ عبارته ، حتى تلاشت ابتسامة (أندروفيتشى) فجأة ، واعتدل فى مجلسه ، ومال إلى الأمام بحركة حادة ، جعلت (كوادروس) يقول فى عصبية :

ـ ماذا حدث أيها القائد ؟!

هبَّ (أندروفيتشى) واقفًا ، وأشار إلى المدفأة ، قائلاً فى انفعال :

ـ أرهف سمعك يا رجل .

اقترب (كوادروس) بحركة حادة من المدفأة ، وأرهف سمعه جيدًا ، ثم هتف فى صوت خافت :

ـ يا للشيطان !! هناك شىء ما يهبط داخلها .. أو شخص ما .

التقى حاجبا (أندروفيتشى) فى شدة ، وهو يقول :

ـ يا للشيطان ! إنك أكثر ذكاءً مما كنت أتصوَّر بكثير يا (أدهم) .

ثم استلّ مسدسه ، وصوّبه إلى المدفأة ، مشيرًا إلى (كوادروس) ، أن يحذو حذوه ، فصوّب (كوادروس) فوهة مدفعه الآلى إليها ، وهو يقول فى عصبية :

- أتعنى أنه .. أنه عرف أننا نختبئ هنا .. فى حجرة مدير الفندق الخاصة ؟!

قال (أندروفيتشى) فى صرامة :

- اصمت واستعدّ يا رجل .

ران على الحجرة صمت رهيب ، والجميع يحدقون فى المدفأة ، ويرهفون أسماعهم فى توتر بالغ ..

حتى الرهائن ..

الكل راودهم شعور بأن حل الأزمة كلها سيهبط من تلك المدفأة ، و ...

وفجأة ، هبط رجل بالفعل ، عبر المدفأة ، مثيرًا عاصفة مباغتة من الغبار ورماد الفحم ..

وبلا أدنى تردُّد ، انطلقت رصاصات (أندروفيتشى) و (كوادروس) ..

وانطلقت صرخات الرهائن ..

وسالت الدماء ..

أنهارًا ..

* * *

كانت الدقائق تمضى فى سرعة مخيفة ، و (أدهم) يعيد دراسة الموقف كله ، بعد تحطم الكمبيوتر ، فى قتاله مع (لاماس) ..

المكان المنطقى الوحيد ، الذى يمكن أن يحتفظ فيه (أندروفيتشى) بالرهائن ، هو حجرة توزيع الموسيقى الرئيسية ..

هو بالتأكيد يدرك هذا جيدًا ..

ويدرك أيضًا أن (أدهم) سيدركه ..

إذن فهنا يكمن الفخ ..

الروسى أخبره أنه يحتفظ بالرهائن فى حجرته ، وهو يعلم جيدًا أنه لن يصدّق هذا ، وأنه سيسعى للبحث عن المكان الحقيقى ، ثم سيتوصّل أخيرًا إلى حجرة توزيع الموسيقى الرئيسية ، استنادًا إلى أن الرسالة ، التى نطقها (أندروفيتشى) بالعربية ، قد تم بثها منها ، وعندئذ سيهاجم تلك الحجرة ، وسيقتحمها من النافذة حتمًا ..

ومن يدرى ماذا سيحدث عندئذ ؟!

ربما يجد من تبقى من رجال السنيورا فى انتظاره ..

أو ربما تم تلغيم النافذة نفسها ..

المهم أنهم ينتظرون وقوعه فى الفخ ، لينتهى أمره هنا ..

فى قلب مهرجان (ريو دى جانيرو) السنوى ..

وهذا يعنى أنهم يختبئون حتمًا فى مكان آخر ..

ولكن أين ؟!

أين ؟!

أين ؟!

وكما يحدث دائمًا ، فى مثل هذا الموقف ، انطلق عقرب الثوانى يلتهمها بلا رحمة أو هوادة ، لتضيع دقيقة وراء أخرى ، و (أدهم) يعتصر مخه .

ويعتصره ..

ويعتصره ..

إنه مازال يذكر ذلك الرسم التفصيلى للفندق ، على الرغم من تحطم الكمبيوتر ..

ومازال يذكر كل ما قرأه عن (يورى أندروفيتشى) ، فى ملفات المخابرات السوفيتية ، التى يحتفظون بها فى القسم الخاص فى المخابرات العامة المصرية ..

إنه لن يتورَّع عن تنفيذ تهديده ..

وسيقتل بالفعل رهينة كل عشر دقائق ، حتى يظفر به ..

وفى كل الأحوال ، لن يسمح ببقاء رهينة واحدة ، بعد انتهاء العملية كلها ..

أيًا كانت النتائج ..

هكذا طبيعته ..

ولهذا تم فصله من المخابرات السوفيتية ، عندما حوَّل عملية تسلُّل بسيطة إلى مذبحة رهيبة ، قتل خلالها أكثر من أربعين رجلاً ، من ألمانيا الغربية(*) ، دون أن يطرف له جفن ، ودون أدنى مبرِّر منطقى ..

ولكن طبيعته تحتم عليه أن يتخذ لنفسه موقفًا متميِّزًا ..

موقفًا يمكنه من تحديد ماتم بشأن خطته ، دون أن يقترب من حجرة التوزيع الموسيقى الرئيسية ، بالقدر الذى يعرضه للمخاطر ..

(*) بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، استولى الحلفاء على (ألمانيا) ، وتم تقسيمها إلى نصف شرقى وآخر غربى ، بحيث يدير السوفيت الجزء الشرقى ، وتدير الدول الثلاث (أمريكا) و(انجلتر) ، و(فرنسا) الجزء الغربى ، ولقد استمر هذا الوضع حتى أنهاه الرئيس السوفيتى (ميخائيل جورباتشوف) .

إنه كعادته سيجازف بحياة الآخرين ..
وسيضع نفسه فى مأمن ..
وهذا يعنى أن المكان ، الذى سيختبئ فيه ، ويخفى داخله الرهائن ، سيكون قريبًا من حجرة التوزيع ، بالقدر الذى يتيح له سماع دوى رصاصات رجاله ، أو دوى انفجار النافذة ، وبعيدًا فى الوقت ذاته ، بحيث لا يعرِّضه لأية مخاطر ..
وهو مكان متميِّز ، وفسيح فى الوقت ذاته ، بحيث يتسع له ، ولبعض رجاله ، إلى جانب الرهائن العشر ..
وسيكون مكانًا يندر أن يرتاده أحد ، وسط احتفالات المهرجان ..
فما هذا المكان ؟!
ماهو ؟!
انطلق عقله يعمل بسرعة الصاروخ ، ويستعرض ما حملته ذاكرته ، من الرسم الهندسى التفصيلى للفندق ، و ...
وفجأة ، توقَّفت أفكاره عند نقطة واحدة ..
وحجرة واحدة ..
حجرة مدير الفندق الخاصة ..

إنها فى نفس الطابق الأرضى ، الذى يضمّ حجرة توزيع الموسيقى الرئيسية ، وتبعد عنها بثلاث حجرات فحسب ، ثم إنها واسعة فسيحة ، ولا يدخلها أحد سوى المدير نفسه ، الذى سينشغل حتمًا بمتابعة الاحتفالات طوال الوقت ، ولن يقترب منها قبل فجر اليومِ التالى ..
إنها المكان المثالى إذن ..
وبنظرة واحدة على ساعته ، أدرك أنه لم يعد أمامه سوى أربع دقائق فحسب ، لبلوغ تلك الحجرة ، وتحرير الرهائن ، وإلا ..
لم يضع ثانية إضافية أخرى كعادته ، وهو ينحنى ليلتقط (لاماس) الفاقد الوعى ، ويحمله على كتفه ، قائلاً :
ـ أنت تعلم مثلى أنهم لن يسمحوا ببقائك على قيد الحياة أيها الوغد ، ما داموا يعلمون أنك قد وقعت فى قبضتى .. سيتصوَّرون حتمًا أننى قد حصلت منك على بعض المعلومات الثمينة ، وسيصرون على أن تدفع حياتك ثمنًا لهذا ..
وفتح النافذة ، وألقى نظرة على مواسير المياه ، التى تسير إلى جوارها ، قبل أن يكمل :

ـ ومادام موتك آتيًا لا ريب ، فلتدفع حياتك ثمنًا لحياة الأبرياء .

ووثب بحمله يتعلَّق بالمواسير ، مستطردًا :

ـ وأراهن على أن هذا لم يدخل ضمن خططك قط .

كان يتسلَّق فى خفة مدهشة ، على الرغم من حمله ، حتى بلغ سطح الفندق ، فأدار عينيه فى سرعة ، حتى حدَّد فتحة المدفأة الخاصة بالمدير ، فأسرع إليها ، ووضع (لاماس) الفاقد الوعى على حافتها ، وهو يغمغم :

ـ معذرة أيها الوغد ، ولكننى مضطر لما أفعله .

انتزع حبلاً رفيعًا ، من الأحبال التى تربط أطراف إعلان كبير ، على سطح الفندق ، وأحاط به وسط (لاماس) ، ثم أدلاه فى حرص داخل فتحة عادم المدفأة العتيقة ، وربط طرف الحبل الآخر فى ماسورة قريبة ، وهو يواصل :

ـ ثقل جسدك سيقطع الحبل الرفيع ، خلال دقيقتين على الأكثر ، وعندئذ سينزلق جسدك عبر فتحة المدفأة الضيقة ، حتى يسقط داخل حجرة المدير الخاصة .

ثم تنهَّد فى عمق ، مستطردًا :

ـ وهذا كل ما أحتاج إليه .

قالها ، وتحرَّك فى سرعة ، ليهبط مرة أخرى ، مستغلاً مواسير المياه ، حتى بلغ الطابق الأوَّل ، فوثب عبر إحدى نوافذه إلى حجرة من حجراته ، وغادرها فى سرعة ، وهو يلقى نظرة متوترة على ساعته ..

أمامه الآن دقيقة واحدة ، قبل أن تنتهى المهلة .. دقيقة واحدة فحسب ..

وبأقصى سرعته ، هبط إلى الطابق الأرضى ، واخترق زحام المحتفلين ، فى شىء من الخشونة ، قبل أن يبلغ ممر الموظفين الخاص ..

وعندما دلف إلى بداية الممر ، بدا له ثلاثة من رجال السنيورا ، يقفون أمام حجرة المدير الخاصة ، وهم يخفون أسلحتهم خلف ظهورهم ..

وفى تلك اللحظة ، لم يكن أمامه سوى أربعين ثانية فحسب ..

لذا فقد انطلق نحوهم على الفور ..

ودون أدنى تردُّد ..

وكانت مفاجأة مذهلة للرجال الثلاثة ..

لقد رأوا الرجل الذى يبحثون عنه ، وهو يتجه نحوهم مباشرة ..

وارتفعت فوهات أسلحتهم نحوه ..

وقفز هو نحوهم كالليث ..

ولم يدر الرجال الثلاثة ماذا حدث بالضبط ..

لقد شاهدوا (أدهم) يثب نحوهم وثبة مدهشة ، تجاوزت الأربعة أمتار ..

ثم هوت صاعقة عنيفة على رءوسهم ..

وأظلمت الدنيا كلها أمامهم ..

فلم تكن أمام (أدهم) ثانية واحدة يضيعها ..

لقد سمع صوت سقوط (لاماس) داخل المدفأة بالفعل ،ودوى رصاصات (كوادروس) و (أندروفيتشى) ، وهى تخترق جسده ، وأدرك أنه قد فقد بالفعل ثوانى ثمينة ، فأطلق كل قوته وطاقته فى وجوه الرجال الثلاثة ..

وعندما انطلقت قبضتاه وقدماه تنسفان أنوفهم وفكوكهم ، كان يثبت أن عقاقير هؤلاء البدائيين قد أتت ثمارها ، وأعادت إليه كل حيويته ونشاطه ..

وإلى أقصى حد ..

لقد نسف أنف أحد الرجال الثلاثة بلكمة كالقنبلة ، وركل الثانى فى معدته ، ثم انتزع منه مدفعه الآلى ، وضرب به الثالث فى فكه ، ثم دار حول نفسه ، وحطم فكه بركلة ساحقة ..

وقبل حتى أن يسقط الرجال الثلاثة أرضًا ، كان (أدهم) يختطف أحد المدافع الآلية ، ويقتحم حجرة المدير الخاصة ..

اقتحمها فى نفس اللحظة ، التى حدق فيها (كوادروس) فى جثة (لاماس) ، هاتفًا فى غضب :

ـ اللعنة ! إنه (لاماس) .. لقد قتلنا (لاماس) .

ومع آخر حروف كلماته ، اقتحم (أدهم) الحجرة ..

وبسرعة مدهشة ، استدار إليه (أندروفيتشى) و (كوادروس) ..

ولكن (أدهم) كان الأكثر سرعة ..

وإقدامًا ..

لقد وثب وثبة مدهشة ، ركل خلالها مسدس الروسى ركلة عنيفة ، ألقت به فى ركن الحجرة ، ثم دار حول نفسه فى سرعة مذهلة ، وهوى على فك

(كوادروس) بالمدفع الآلى ، فأطاح به فى عنف ، ليرتطم بالمدفأة فى قوة ، ثم يسقط أرضًا ..

وقفز (أندروفيتشى) ليلتقط مسدسه ، الملقى عند ركن الحجرة ، ولكن (أدهم) قفز يركله فى وجهه بقوة ، ثم صوَّب إليه المدفع الآلى ، قائلاً فى صرامة :

ـ خسرت اللعبة يا (أندروفيتشى) ، فلا داعى للمكابرة .

مسح الروسى خيط الدم ، الذى سال من ركن شفتيه ، وهو يقول فى غيظ :

ـ دعنى أعترف لك بالعبقرية يا سيِّد (أدهم) .. لقد أجدت اللعبة بحق هذه المرة .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، قائلاً :

ـ إننى أجيدها دائمًا أيها الوغد الروسى .

اعتدل (أندروفيتشى) ، وهو يقول فى حدة :

ـ ليس بالضرورة يا سيِّد (أدهم) .. كثيرًا ما تكون الصورة المباشرة خادعة إلى حد كبير .

هتفت إحدى الرهائن ، فى هذه اللحظة ، وهى ترتجف بشدة ، دون أن تفهم حرفًا واحدًا ، من الحديث الذى يدور بين (أدهم) و (أندروفيتشى) بالروسية :

ـ سـيِّدى .. إننا لم نفعل شيئًا .. هل ستطلقون سراحنا ؟!

التفت إليها (أدهم) ، مجيبًا بالبرتغالية :

ـ بالتأكيد يا سيِّدتى .. إننى ..

قبل أن يتمَّ عبارته ، اتسعت عيناها فجأة فى ذعر ، وصرخت ، وهى تحدِّق فى نقطة ما خلفه مباشرة :

ـ احترس .

وقبل حتى أن يكتمل هتافها ، كان (كوادروس) ينقضّ على (أدهم) من الخلف ، ويحيط وسطه بذراعيه الفولاذيتين ، صائحًا :

ـ ستدفع الثمن أيها المصرى .. ستدفع ثمن مصرع (لاماس) .

وفى نفس اللحظة ، وبطبيعة رجل مخابرات سابق ، انتهز (أندروفيتشى) الفرصة ، ووثب يستعيد مسدسه ، ويصوِّبه نحو (أدهم) ، هاتفًا فى ظفر :

ـ خسرت يا (أدهم) .

وأطلق النار ..

★ ★ ★

فرك البروفيسير (دى مال) عينيه فى إرهاق شديد ، وهو يقول لزميله (جولهى) فى عصبية :

- ما الذى تريده منا هذه السنيورا بالضبط ؟! ألا يكفيها أن تجبرنا على القيام بعمل حقير كهذا ، حتى تدفعنا للعمل ليل نهار ؟! هل نسيت أننا بشر من لحم ودم ، ولسنا مجرد آلات حديثه ، كتلك التى تزحم بها المكان ؟!

تلفت البروفيسير (جولهى) حوله فى ذعر ، وهو يهمس مرتجفًا :

- اخفض صوتك يارجل .. إنها تسمع كل ما ننطق به هنا .

هتف (دى مال) فى حدة ، وهو يشير إلى السقف :

- وتشاهد ما نفعله أيضًا ، ولكن حتى هذا لا يمكن أن ينتزع منا أكثر مما يمكن لأجسادنا أن تعطيه .

أجابه البروفيسير (استروتيسكى) فى صرامة :

- السنيورا تريد إنجاز مشروعها بسرعة أكبر .

قال (دى مال) فى عصبية :

- والمفترض أن نساعدها على القيام بهذا .. أليس كذلك ؟!

التفت إليه (بولانسكى) ، قائلاً فى سخرية :

- ألديك خيار آخر ؟!

رمقه (دى مال) بنظرة غاضبة ، لم تلبث أن استحالت إلى لمحة أسى ، وهو يقول :

- كلا .

عاد (بولانسكى) يواصل عمله ، وهو يقول :

- اعمل فى صمت إذن .

عضّ (دى مال) شفتيه قهرًا ، وقال فى مرارة :

- يبدو أنك على حق .. هذا كل ما لدى .. أن أعمل .. وفى صمت .

غمغم (استروتيسكى) :

- هذا أفضل .

انعقد حاجبا (دى مال) بضع لحظات فى حنق ، وحاول أن يواصل عمله لبضع دقائق ، إلا أن ذلك الغضب لم يلبث أن تصاعد فى أعماقه ، فصاح فى (بولانسكى) بحدة :

- ما الذى تفعله بالضبط ؟!

أجابه (بولانسكى) فى برود :

- أعيد حساب الموقف كله .

سأله فى عصبية :

- لماذا ؟!

التفت إليه (بولانسكى) مرة أخرى ، وقال :

ـ لأن السنيورا متعجِّلة للغاية ، وهى ترغب فى استغلال ما لدينا من البولوتونيوم ٢٣٩ المخصَّب ، لصنع قنبلة ذرية واحدة على الأقل ..

قال (دى مال) فى توتر :

ـ وهل تعلم ما ستفعله بها ؟!

هزّ (بولانسكى) كتفيه فى لامبالاة ، وعاد إلى عمله ، مجيبًا :

ـ ستفجِّرها فى مكان ما بالتأكيد .

قال (دى مال) :

ـ بل قل : إنها ستزهق بها مئات الأرواح ، لتثبت للعالم كله أن لديها القوة الكافية .. مجرَّد وسيلة للإرهاب والـ ..

باغته صوت السنيورا ، وهى تقول فى صرامة :

ـ خطأ يا بروفيسير (دى مال) .

التفت إليها الجميع فى حدة ، واحتقن وجه (دى مال) ، وهو يقول فى عصبية :

ـ كنت أعلم أنك ستظهرين .

نفثت دخان سيجارتها فى بطء ، وهى تدلف إلى

المعمل المشترك لهم ، قبل أن تقول فى صرامة واضحة :

ـ هذا أمر طبيعى يا بروفيسير .. إننى أتعجَّل الأمر ، وأتابعه بنفسى طوال الوقت .

ثم انعقد حاجباها ، وهى تضيف بلهجة مخيفة :

ـ ولن أسمح لأى مخلوق بإفساده .

ازداد احتقان وجه (دى مال) ، وهو يقول فى حدة :

ـ ولكنك ستقتلين مئات الأبرياء بقنبلتك الذرية الأولى هذه .

صاحت به فى صرامة :

ـ قلت لك : إن هذا خطأ .

تراجع مرتجفًا ، أمام صرامتها الشديدة ، فى حين نفثت هى دخان سيجارتها فى قوة ، قبل أن تتابع بنفس الصرامة :

ـ وهذا كل ما يمكنك معرفته .

سألها فى عصبية :

ـ هل تعنين أن تلك القنبلة ، التى تتعجلين إنتاجها ، لن تقتل أحدًا ؟!

صمتت لحظة ، وهى تنفث دخان سيجارتها ، قبل أن تجيب فى حزم صارم :

- لن تكون هناك ضرورة لهذا .

لم يفهم أحدهم ما تعنيه ، ولكنهم تطلّعوا إليها جميعًا فى رهبة واضحة ، أدركتها هى بذكائها ، فابتسمت فى ثقة ظافرة ، وعادت تنفث دخان سيجارتها فى قوة ، قبل أن تقول :

- هذا أفضل بالتأكيد .

ثم اتجهت نحو (بولانسكى) ، وسألته :

- ما الذى توصّلت إليه ؟!

أشار إلى جهاز الكمبيوتر الخاص به ، وهو يجيب فى احترام :

- لو أننا أحسنّا استغلال ما لدينا ، فيمكننا إنتاج قنبلة ذرية محدودة ، خلال عشر ساعات فحسب .

تألّقت عيناها ببريق مخيف ، وهى تقول فى لهفة :

- هل تعتقد هذا حقًا ؟!

هزّ كتفيه ، قائلاً :

- الأرقام لا تكذب أبدًا .

طالعت الأرقام على الشاشة مرة أخرى ، قبل أن تردّد :

- عظيم .. عظيم .

قال (بولانسكى) محذّرًا :

- ولكن إنتاج تلك القنبلة المحدودة سيؤدى إلى تأخير إنتاج القنابل الأخرى ليوم آخر .. أى أن الأمور ستعود إلى سابق عهدها .

لوّحت بسبّابتها ، قائلة فى حزم :

- فليكن .. لا بأس من هذا .

ثم أدارت عينيها فى وجوههم جميعًا ، متابعة فى صرامة :

- وليعلم الجميع أن أحدًا ، فى المكان كله ، لن يذوق طعم النوم ، قبل أن يتمّ إنتاج تلك القنبلة المحدودة ، وتصبح جاهزة للتفجير .. هل تفهمون ؟! ليس قبل هذا بدقيقة واحدة .

واتجهت إلى باب المعمل ، وتجاوزته بخطوة ، ثم لم تلبث أن التفتت إليهم ، مضيفة بلهجة مخيفة ..

- ومهما كان الثمن .

ثم أشارت إلى حارسها الخاص ، فأغلق الباب خلفها ، تاركًا العلماء الأربعة داخل المعمل المشترك ، وقد خيّم عليهم صمت مهيب رهيب ..

صمت يكرر نفس ما قالته السنيورا قبل انصرافها ..

لن يذوق أحدهم طعم النوم ، قبل أن ينتهى إنتاج تلك القنبلة الذرية المحدودة ..

ومهما كان الثمن ..

★ ★ ★

كانت ذراعا (كوادروس) الفولاذيتان تحيطان بـ (أدهم) فى قوة خرافية ، فى حين التقط (أندروفيتشى) مسدسه ، وصوبه إلى صدر هذا الأخير ، و ..

وقفزت قدما (أدهم) فى سرعة مذهلة ..

استغل تشبث (كوادروس) به ، وركل يد (أندروفيتشى) وفكه بقدميه ، فى آن واحد ..

وانطلقت رصاصة مسدس (أندروفيتشى) ، لتستقر فى سقف الحجرة ، فى نفس اللحظة التى دفع فيها (أدهم) الجدار المقابل بقدميه فى قوة ، على نحو جعل (كوادروس) يتراجع إلى الخلف فجأة ، وهو يطلق سبابًا ساخطًا ، فى نفس اللحظة التى صاح فيها الروسى ، وهو يعيد تصويب مسدسه إلى (أدهم) :

ـ لن تفلح لعبتك أيها المصرى .

مال (أدهم) بجسده إلى الأمام فى سرعة ، ولم تكد قدماه تلامسان الأرض ، حتى انثنى أكثر فى مرونة مدهشة ، ثم انزلق من بين ذراعى (كوادروس) بحركة مباغتة ، فوجد هذا الأخير نفسه يطير فى الهواء ، ثم يرتطم بقائده فى عنف ..

ومع ثقل (كوادروس) وضخامته ، شعر (أندروفيتشى) وكأن ثورًا هائلاً قد ارتطم به ، فسقط أرضًا فى عنف ، وطار مسدسه من يده ، فوثب (أدهم) يلتطقه فى مهارة مدهشة ، وهتف فى سخرية ، وهو يصوبه إليهما :

ـ الآن انتهت اللعبة أيها الوغدان .

كان (أندروفيتشى) يشعر بآلام مبرحة ، فى كل عظمة من عظام جسده ، فى حين زمجر (كوادروس) فى غضب ، ووثب نحو (أدهم) ، الذى استقبله بضربة قوية فى فكه بالمسدس ، أعقبها بلكمة كالقنبلة فى معدته ، قبل أن يقفز إلى أعلى ويركله بقدميه ركلتين متعاقبتين قويتين .



فوجد هذا الأخير نفسه يطير فى الهواء ، ثم يرتطم بقائده فى عنف ..

وعلى الرغم من عنف وقوة الضربات ، تراجع (كوادروس) مطلقًا زمجرة أخرى مخيفة ، ثم انقض ثانية على (أدهم) ..

وفى هذه المرة ، انحنى (أدهم) فى خفة ، متفاديًا لكمة (كوادروس) ، ثم اعتدل بغتة ، ولكم هذا الأخير فى فكه لكمة كالقنبلة ، ووثب ليدور خلفه فى رشاقة ، ويهوى على مؤخرة عنقه بكعب المسدس ..

وفى هذه المرة أطلق (كوادروس) خوارًا عجيبًا ، أشبه بخوار ثور يحتضر ، وجحظت عيناه فى شدة ، وهو يترنح فى قوة ، فهوى (أدهم) على مؤخرة عنقه بضربة أخرى ، وهو يقول ساخرًا :

ـ هيا .. اخرج من اللعبة يا جبل اللحم .

هوى (كوادروس) أرضًا فى عنف ، فى نفس اللحظة ، التى وثب فيها (أندروفيتشى) ، محاولاً التقاط مدفع (كوادروس) الآلى ، ولكن (أدهم) صوّب إليه المسدس ، قائلاً فى سخرية :

ـ هل تبحث عن شىء ما يا عزيزى (أندروفيتشى) ؟!

تجمَّد الروسى فى مكانه ، وانعقد حاجباه فى توتر ، وهو يقول :

ـ مرة أخرى أعترف لك بالبراعة يا سيِّد (أدهم) .

كان الرهائن جميعهم يحدقون فيما يحدث فى رعب هائل ، فالتفت (أدهم) إليهم ، وقال بابتسامة هادئة :

ـ أعتقد أنه يمكنكم الانصراف أيها السادة .

تحرَّك الجميع فى لهفة ، ولكن (أندروفيتشى) احتجزهم بإشارة صارمة من يده ، قائلاً :

ـ ليس بعد أيها السادة .. الاحتفال لم ينته بعد .

تجمَّدوا فى مكانهم مذعورين ، فى حين التفت هو إلى (أدهم) ، قائلاً بالروسية :

ـ هل تعتقد أنك قد نجحت فى السيطرة على الموقف ؟!

هزَّ (أدهم) كتفيه ، قائلاً فى سخرية :

ـ ما رأيك أنت أيها الوغد ؟!

أجابه (أندروفيتشى) فى حزم :

ـ رأيى أن كل ما فعلته حتى الآن ، مجرَّد استعراضات بهلوانية أنيقة أيها المصرى ، تناسب هذا المهرجان السنوى للمدينة ، ولكنها لا تصلح لتحقيق انتصار حاسم .

سأله (أدهم) ساخرًا :

ـ هل تعتقد هذا حقًا ؟!

هزَّ الروسى رأسه فى قوة ، وقال :

ـ أعتقد ؟! أنت تعلم مثلى أن الاعتقاد أمر غير وارد ، وغير مسموح به فى عالمنا ، يا رجل المخابرات المصرى ، لذا فما أقوله لا صلة له بالاعتقادات الشخصية .. إنه أمر واقعى مائة فى المائة .

قال (أدهم) ساخرًا :

ـ وكيف أيها العبقرى ؟! لقد أحصيت رجالك جيدًا ، عندما هاجمتهم هنا فى الفندق ، وأعلم أنه باستثنائك أنت وهذا الوغد ، لم يعد باقيًا سوى رجلين فحسب ، و ..

قاطعه (أندروفيتشى) :

ـ هذا يعنى أنه هناك جزء من اللعبة ، فاتك أن تستوعبه جيدًا يا رجل المخابرات المصرى .. الجزء الرسمى .

قالها ، وأطلق صفيرًا قويًا ، لم يكد يكتمل ، حتى اقتحم المفتش (أورتيجا) ورجاله الحجرة ، من بابها

ونافذتها وكلهم يصوبون مدافعهم نحو (أدهم) فى تحفز شديد ، وعلى نحو جعل (أندروفيتشى) يطلق ضحكة عالية قوية ..

ضحكة واثقة ..

وظافرة .

★ ★ ★

٤ - مطاردة ..

« رجالنا فقدوا أثر العميد (أدهم) أيها السادة .. »

نطق مدير المخابرات العامة العبارة فى توتّر ملحوظ ، جعل رجاله يتطلّعون إليه فى صمت ، استغرق نصف دقيقة كاملة ، قبل أن يقول أحدهم :

- ما آخر موقع تم رصده فيه يا سيدى ؟

أشار المدير إلى خريطة (ريو دى جانيرو) ، المعلّقة على الجدار ، وهو يقول :

- هنا .. عند الموقع الذى سقطت فيه سيارته فى المحيط ، ولكننا تلقينا بعدها ما يؤكد أنه على قيد الحياة ، ويواصل مطاردة رجال السنيورا ، وآخر ما وصلنا منه ، هو أنه سيعمل على استفزازهم بشدة ، فى الفندق الذى يقيمون فيه ، حتى يوقع بأحدهم ، ممن فقدوا أعصابهم ، ويعرف منه موقع السنيورا .

سأله رجل آخر :

- وماذا حدث بعدها ؟!

لوَّح المدير بكفه ، قائلا :

ـ لا أحد يدرى .. المهرجان بلغ ذروته هناك ، والضجيج فى كل مكان ، وبعض السكان يحتفل بإطلاق رصاصات صوتيةَ فى الهواء ، بالإضافة إلى الصواريخ الضوئية الملوَّنة ، وكل هذا يجعل من العسير رصد معركة حقيقية بالمدافع الآلية ، مهما بلغ عنفها .. الكل سيتصوَّر أنها جزء من احتفالات المهرجان ، أو مجرَّد فقرة هزلية ، لإحدى الفرق المسرحية .

وتنهَّد فى توتر ، مستطردًا :

ـ باختصار ، كل شىء يمكن حدوثه ، وسط تلك الفوضى هناك .

خلع الدكتور (محمد العفيفى) منظاره الطبى ، وفرك عينيه فى بطء ، قبل أن يقول :

ـ أخبرونى أيها السادة .. ألا تلاحظون أن ذلك القتال فى (ريو دى جانيرو) قد استغرق أطول مما ينبغى ؟!

أجابه المدير فى توتر :

ـ هذا صحيح يا دكتور (محمد) ، ولكنه أمر حتمى ، فـ (أدهم) مثلنا ، يجهل تمامًا أين وكر

السنيورا ، الذى تعدَ فيه مشروعها النووى ، ولقد نقلت تلك الأفعى القتال إلى (ريو دى جانيرو) ؛ لتمنح نفسها الوقت الكافى لإعداد قنابلها الذرية ، وبدء خطتها الشيطانية ، و (أدهم) يقاتل كل هذا الوقت ، ليصل إلى تلك المعلومة .. أين تختفى السنيورا ؟!

ارتدى الدكتور (محمد) منظاره مرة أخرى ، وهو يسأل فى اهتمام :

ـ وماذا عن الآخرين ؟!

سأله أحد رجال المخابرات فى اهتمام :

ـ ماذا تعنى بالآخرين يا دكتور (محمد) ؟!

أجابه خبير الهندسة النووية فى جدية واهتمام :

ـ الأمريكيون والروس والإسرائيليون ، وغيرهم .. المفترض أننا لسنا جهاز المخابرات العبقرى الوحيد ، الذى انتبه إلى ما تسعى إليه السنيورا ، وهذا يعنى أنه هناك آخرون يسعون خلفها مثلنا .. أليس كذلك ؟!

تبادل الرجال نظرة صامتة ، قبل أن يجيب المدير :

ـ كلٌ يعمل بأسلوبه يا دكتور (محمد) ، فالأمريكيون والروس درسوا الأمر طويلاً ، واستغلوا

أقمارهم الصناعية الفضائية ، لمسح (أمريكا) الجنوبية كلها ، بحثًا عن مفاعل ذرى ، يختفى فى مكان ما ، ولكن تلك المناطق ذات تضاريس وعرة للغاية ، ومن الواضح أن السنيورا قد احتاطت لهذا الأمر بالتحديد ، وأخفت وكرها فى مهارة ، أما الإسرائيليون ، فهم ينبشون (المكسيك) شبرًا شبرًا ؛ لأنه لديهم قناعة شديدة بأن السنيورا عميلة سابقة لهم ، انفصلت عنهم يومًا ، وأنشأت منظمة جاسوسية خاصة ، ثم لقيت مصرعها فى ظروف عنيفة للغاية .

غمغم الدكتور (محمد) فى دهشة :

- لقيت مصرعها ؟!

أجابه المدير فى سرعة :

- إنهم يعتقدون أن عملية موتها الدراماتيكية هذه ، كانت مجرَّد خدعة ؛ لإيهام الجميع بمصرعها ، حتى يمكنها العودة لنشاطاتها السابقة سرًا ، ويؤمنون تمامًا بأن المنطقة المفضّلة لها هى (المكسيك) ؛ نظرًا لسطوتها السابقة هناك .

صمت الدكتور (محمد) بضع لحظات ، ليهضم كل هذا ، قبل أن يقول متنحنحًا :

- على أية حال أيها السادة ، فأيًا كانت الوسائل ، التى يتخذها الجميع ، ينبغى أن يتمّ التحرُّك بسرعة أكبر مما يحدث حاليًا ، وإلا خسرنا كل شىء .

جذبت عبارته انتباه الجميع فى شدة ، فسأله أحد الرجال فى اهتمام بالغ :

- ما الذى تعنيه بالضبط يا دكتور (محمد) ؟!

أجابه خبير الهندسة النووية فى انفعال :

- الواقع أيها السادة أننى أعانى مشكلة ضخمة منذ طفولتى ، فعقلى لا يتوقَّف عن التفكير قط ، حتى وأنا غارق فى أعمق درجات النوم ، لذا فعندما أويت إلى فراشى ، منذ بضع ساعات ، كان هناك سؤال يلح على ذهنى فى إصرار عجيب .

وتنحنح لحظة ، ثم تابع فى اهتمام :

- ماذا أفعل ، لو أننى فى موضع تلك السنيورا ، وأعلم أن العالم كله يسعى خلفى ، ويحاول منعى من تنفيذ مشروع نووى ، بنيت عليه كل آمالى وأحلامى ؟!

سأله آخر فى لهفة :

- وماذا كان الجواب ؟!

أشار الدكتور (محمد) بسبَّابته ، مجيبًا :

- أن أعمل بسرعة مضاعفة ، لإنتاج ولو قنبلة ذرية واحدة ، يمكن إطلاقها فى مكان ما ، لجذب انتباه الجميع ، وإبلاغهم أننى قد أصبحت قادرًا على تهديد أمنهم بالفعل .

صمت الرجال تمامًا ، وهم يتبادلون نظرة مفعمة بالقلق ، قبل أن يميل المدير إلى الأمام ، ويسأل فى بطء :

- وهل يمكنها هذا ؟

أخرج الدكتور (محمد) بضع أوراق من جيبه ، وهو يقول :

- بالطبع .

وراح يراجع معادلاته فى سرعة ، مستطردًا :

- لو أنها استغلت كمية البلوتونيوم المخصب ، الذى أحضرته من (روسيا) ، ومع وجود مفاعل نووى نشط ، يمكنها أن تنتج قنبلة ذرية واحدة ، ذات تأثير محدود ، خلال عشر ساعات فحسب .

ثم رفع عينيه إليهم ، مضيفًا فى حزم :

- وعندما نتحدث فى عصرنا هذا ، عن قنبلة ذرية محدودة ، فنحن نعنى أن قوتها التدميرية تفوق قوة قنبلة (هيروشيما) بثلاثين ضعفًا على الأقل .

كان تقريره هذا مخيفًا للغاية ، حتى إنه فجر فى أعماق الجميع سؤالاً واحدًا ..

ترى أى مدى بلغه (أدهم) فى مهمته العسيرة هذه ؟!

وأين هو الآن ؟!

أين ؟!

★ ★ ★

على الرغم من الخطة المعقدة ، التى وضعها (أدهم) ، ليباغت (أندروفيتشى) ، فى حجرة المدير الخاصة ، إلا أن ظهور (أورتيجا) ورجاله كان مفاجئًا بحق ..

لقد كان يعلم أن مفتش الشرطة المرتشى ، الذى يعمل لحساب السنيورا ، قد اكتفى بمحاصرة الفندق مع رجاله ..

ولم يتوقع تخليه عن هذه المهمة ، لاقتحام الموقف مباشرة ..

وخاصة مع وجود الرهائن العشرة ، الذين أصابهم الرعب والانهيار ، من كل ما يحدث أمامهم ، من أمور عجزوا عن فهمها أو استيعابها ..

ولكن (أندروفيتشى) كان بارعًا فى وضع خطته الاحتياطية ..

و (أورتيجا) نفذ دوره بكل مهارة ..

وكانت مفاجأة حقيقية ..

وانطلقت ضحكات (أندروفيتشى) الظافرة ، وهو يسأل (أدهم) فى شماتة :

ـ ألن تعترف لى بالتفوق الآن يا سيد (أدهم) ؟!

ألقى (أدهم) مسدسه عند قدميه ، وهزّ كتفيه ، قائلا :

ـ الأمر لم ينته بعد أيها الوغد الروسى .

انعقد حاجبا (أندروفيتشى) ، وهو يقول :

ـ كل ما يحتاج إليه إنهاء الأمر هو رصاصة واحدة أيها المصرى .

أشار (أدهم) إلى الرهائن ، قائلا فى سخرية :

ـ فى وجود هؤلاء ؟!

صاح الروسى فى عناد :

ـ هذا لا يعنينى .

أجابه (أورتيجا) فى حدة :

ـ ولكنه يعنينى أنا يا سنيور (أندروفيتشى) .

التفت إليه (أندروفيتشى) فى غضب ، قائلا :

ـ ماذا تقول أيها المفتش ؟!

أجاب (أورتيجا) فى عصبية :

ـ أقول : إنه عملى يا سنيور ، أم أنك قد نسيت أننى رجل شرطة .

بدا الغضب على وجه (أندروفيتشى) ، فى حين أشار (أورتيجا) إلى الرهائن ، قائلا :

ـ معذرة أيها السادة .. لقد أساء هؤلاء السائحون فهم احتفالاتنا السنوية ، وتمادوا فى دعاباتهم إلى حد كبير ، والقانون لن يعفيهم من هذا التجاوز ، وسيتم إلقاء القبض عليهم ، وسيصحبكم مساعدى الآن ، للحصول على أقوالكم فى هذا الشأن ، وبعدها سنتخذ الإجراءات القانونية اللازمة .

أسرع الرهائن يغادرون الحجرة فى لهفة ، قبل أن يستجد ما يمنعهم من هذا ، و (أدهم) يراقبهم فى هدوء ، على الرغم من المدافع الآلية ، المصوّبة إليه ، حتى خلت الحجرة منهم تمامًا ، فأدار (أورتيجا) فوهة مسدسه إليه ، قائلا :

ـ والآن أيها المصرى ..

قاطعه (أدهم) بابتسامة مستفزة :

- هل ستطلق النار على الفور أيها المفتش ؟! ألن تتساءل حتى كم سيكلفك هذا ؟!

صاح (أندروفيتشى) :

- لا تجعله يخدعك يا (أورتيجا) .. أطلق النار على الفور .

أجابه (أورتيجا) فى صرامة :

- سأفعل يا سنيور .. سأفعل .. موته وحده سيعيد الأمور كلها إلى نصابها .. سأقتله هنا ، ثم ترحلون على الفور ، وسندّعى أنه المسئول عن عملية الرهائن هذه ، و ...

قاطعه (أدهم) بضحكة ساخرة مستفزة هذه المرة ، جعلت (أندروفيتشى) يهتف ثائرًا :

- اقتله يا (أورتيجا) .. اقتله دون إضاعة لحظة واحدة .

جذب (أورتيجا) إبرة مسدسه ، وأشار إلى رجاله بالاستعداد لإطلاق النار ، لولا أن قال (أدهم) بنفس السخرية :

- نعم .. اقتلنى على الفور أيها المفتش (باولو

أورتيجا) ، وحاول أن تفسّر لرؤسائك ما يحويه شريط الفيديو ، الذى سيصلهم صباح الغد .

هتف (أندروفيتشى) :

- لا تستمع إليه يا (أورتيجا) .. إنه يحاول خداعك .

ولكن (أورتيجا) تجاهل هتاف الروسى ، وهو يسأل (أدهم) فى عصبية :

- أى شريط هذا ؟!

هزّ (أدهم) كتفيه ، وقال :

- شريط طريف ، تم التقاطه ليخت فى المحيط ، يحمل اسم (لادونا) ، ويظهر فيه زعيم تجارة المخدرات فى البرازيل ، وهو يناولك حقيبة ، تحوى نصف مليون دولار .

وعاد يبتسم فى سخرية ، مستطردًا :

- ترى ما الذى يمكن أن يقدّمه مفتش شرطة ، لزعيم تجارة المخدرات ، مقابل نصف مليون دولار .

شحب وجه (أورتيجا) فى شدة ، وهو يقول :

- لا .. لا يمكن أن يكون هناك شريط كهذا .

قال (أندروفيتشى) فى صرامة :

- بالتأكيد لا يوجد شريط كهذا يا (أورتيجا) .. إنها محاولة خداع فحسب ؛ لاكتساب بعض الوقت ، حتى يجد وسيلة للفرار من هذا الفخ المحكم .. اقتله يا (أورتيجا) ، ولن تندم أبدًا .

بدا التردُّد والتوتر على وجه (أورتيجا) ، وتطلَّع إليه فريق رجاله ، فى انتظار أوامره ، وفوهات مدافعهم الآلية مصوبة إلى (أدهم) ، وسبَّاباتهم متحفِّزة فوق أزندتها ، ولكن (أدهم) قال فى هدوء شديد :

- قميص أحمر وسروال أمريكى أزرق .

اعتدل (أورتيجا) فى توتر ، فى حين هتف (أندروفيتشى) :

- أرأيت ؟! إنه يتحدَّث الآن بعبارات غير مفهومة .. إنها مجرَّد محاولة لإرباكك فحسب .

قال (أدهم) فى سخرية :

- خطأ أيها الوغد الروسى .. إننى أصف ما كان يرتديه صديقنا (أورتيجا) ، فى ذلك الشريط ، الذى لا وجود له .

انتفض (أورتيجا) فى عنف ، من شدة التوتر والانفعال ، وقال فى عصبية :

- أين هذا الشريط ؟!

عقد (أدهم) ساعديه أمام صدره ، وقال :

- صديق لى يحتفظ به ، فى منطقة قريبة ، وسيسلِّمه للسلطات غدًا صباحًا ، إذا لم أعد إليه ، قبل مطلع الفجر .

قال (أندروفيتشى) فى غضب :

- يا لها من خدعة ساذجة !! هل تتوقَّع أن يصدِّق أحد هذا يا سيِّد (أدهم) ؟!

هزَّ (أدهم) كتفيه ، وأجابه باللغة الروسية فى سخرية :

- ولِمَ لا ؟! إنها تفلح دائمًا أيها الوغد الروسى .

هتف الروسى فى غضب :

- هذا لو لم أكن أنا هنا .

قالها ، وقفز يختطف مدفع (كوادروس) الآلى ، فأدار (أورتيجا) مدفعه إليه ، هاتفًا فى عصبية :

- إياك أن تفعل .

وارتبك رجال (أورتيجا) ، إزاء هذا الاضطراب المباغت ..

ولم يزد اضطرابهم هذا عن لحظة واحدة ..

كانت كل ما يحتاج إليه (أدهم) ..

ففى سرعة مذهلة ، وفور استدارة (أورتيجا) إلى (أندروفيتشى) ، وثب (أدهم) ..

كان مصباح الحجرة يرتفع ثلاثة أمتار وربع المتر عن أرضيتها ، وعلى الرغم من هذا فقد بلغه (أدهم) بوثبة واحدة مدهشة ، مال خلالها نصفه العلوى إلى أسفل ، وارتفعت قدمه لتركل المصباح فى قوة ، وتحطم ، ليسود الحجرة ظلام مباغت ..

وصرخ (أندروفيتشى) فى غضب :

ـ هل رأيت ما فعلته أيها الغبى ؟!

وقبل حتى أن ينهى نصف عبارته ، كان (أدهم) يثب متجاوزًا (أورتيجا) ورجاله ، الذين يسدون باب الحجرة ، بحركة بهلوانية مدهشة ، هبط بعدها على كفيه ، ثم دار بجسده فى الهواء دورة رأسية ، بالغة الخفة والرشاقة ، قبل أن يعدو عبر ممر العاملين بالفندق ..

واتسعت عيون رجال الشرطة الثلاثة ، الذين شاهدوا تلك القفزة المذهلة ، فحدّقوا فى (أدهم) لحظة ، لم تكد تنتهى ، حتى وجدوه أمامهم تمامًا ، وهو يقول فى سخرية :

ـ هلاّ أفسحتم الطريق أيها الأوغاد .

حاول الرجال الثلاثة التغلب على ذهولهم ، وانتزاع مسدساتهم من غمدها ، ولكن قبضة (أدهم) كانت أسرع إليهم ، تحطّم فكّ أولهم ، وتطيح بالثانى كالعاصفة ، ثم تهوى على رأس الثالث ، ليلحق بزميليه عند قدميه فاقد الوعى ..

وفى الحجرة ، هتف (أندروفيتشى) ، وهو يندفع نحو الباب ، ويدفع الرجال ، الذين ارتبكوا عند مدخله :

ـ أيها الغبى .. كان ينبغى أن تطلقوا النار على الفور ..

صاح (أورتيجا) فى غضب :

ـ نطلقها نحو من ، وفى أى اتجاه يا سنيور ؟!

عضّ (أندروفيتشى) شفتيه فى غيظ ، وهو يثب خارج الحجرة ، ويعدو عبر الممر ، متجاوزًا رجال

الشرطة الثلاثة ، الذين فقدوا وعيهم ، إلا أنه لم يكد يبلغ نهايته ، حتى توقف بحركة حادة ، وانعقد حاجباه فى شدة ..

فعلى الرغم من الزحام الشديد ، فى قاعة الفندق الرئيسية ، والهرج والمرج فى كل مكان ، فحصت عيناه القاعة كلها بنظرة خبير ..

ولم يجد أثرًا لـ (أدهم) ..

أدنى أثر ..

★ ★ ★

احتقن وجه (كاندى) فى شدة ، وهو يحشو مسدسه بالرصاصات ، ويصيح فى وجه (سواتر) :

ـ أنت المسئول عن كل هذا .. أنت المسئول عما نعانيه .. طمعك الزائد وضعنا فى هذا الموقف السخيف .. لقد هاجموا (جوانيتو) ، ويعلمون الآن أنه يمتلك مشروع (السوبرمان) ، وسيدركون فى سرعة أننا الوحيدان ، اللذان يمكنهما صنعه ، ولن يلبثوا أن يسعوا خلفنا بكل قوتهم .

أجابه (سواتر) فى عصبية ، وهو يدفع خزانة رصاصات كبيرة داخل مدفعه الآلى :

ـ ومنذ متى لم يفعلوا ؟! الشرطة تطاردنا طوال الوقت يا رجل ، أم أنك تظنهم يجهلون أننا نعمل فى صناعة وبيع السلاح ، منذ زمن طويل ؟!

هزَّ (كاندى) رأسه فى عصبية ، قائلا :

ـ الأمر يختلف هذه المرة يا رجل .. يختلف كثيرًا .. منذ سنوات طويلة ، كنا نكتفى بتصنيع المسدسات والمدافع الآلية ، وعندما تطوَّر بنا الأمر قليلاً ، تجاوزنا الحدود ، وقمنا بصنع قاذفات الصواريخ المحمولة ، ولكننا الآن نصنع أحد الأسلحة السرية ، التى تمثل خطورة على الأمن القومى للبلاد ، ولا يمكن أن تمرَّ هذه الأمور فى سهولة كذى قبل .

شعر (سواتر) بعصبية زائدة ، مع كلمات (كاندى) ، التى لم تتجاوز الحقيقة ، فقال فى حدة وانفعال :

ـ اصمت يا رجل اصمت .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى قفز (كاندى) من مكانه ، هاتفًا :

ـ يا للشيطان ! هل تسمع هذا ؟!

أرهف (سواتر) سمعه لحظة ، أمسك بعدها سلاحه فى عصبية ، قائلاً :

- اللعنة ! إنها هليوكوبتر .

ما إن انتهى من عبارته ، حتى انطلق صفير قوى ، جعله يعدو صارخًا :

- ابتعد يا رجل .. إنه صاروخ .

ومع آخر حروف كلماته ، دوى الانفجار ..

انفجار قوى عنيف ، أطاح بباب وكرهما ، ودفعهما أمامه لأربعة أمتار كاملة ، فصرخ (كاندى) مذعورًا :

- لقد عثروا علينا .

قفز (سواتر) واقفًا ، وهو يصرخ :

- اهرب يا رجل .. اهرب من المدخل الخلفى .

انطلقا يعدوان بأقصى سرعتهما ، نحو المدخل الخلفى لوكرهما ، وانبعث من خلفهما صوت صارم ، يهتف :

- توقفا وإلا أطلقنا النار .

استدار (سواتر) يواجه صاحب الصوت ، وهو يصرخ :

- اذهبوا إلى الجحيم .

قالها ، وهو يطلق نيران مدفعه الآلى فى شراسة ، فصاح به (كاندى) مذعورًا :

- لا .. لا تفعل يا رجل .

ضاعت صيحته ، وسط دوى عشرات الرصاصات ، التى انطلقت كلها فى آن واحد ، لتخترق جسد (سواتر) فى مواضع شتى ، فانتفض جسده فى عنف ، وهو يطلق صرخة هائلة ، امتزجت بصيحة (كاندى) :

- لا يا (سواتر) .. لا ..

واتسعت عيناه فى رعب شديد ، عندما رأى (سواتر) يسقط أمامه جثة هامدة ، وسط بركة من الدماء ، فى حين اندفع عدد من الرجال نحوه فى سرعة ، وهم يحملون مدافع آلية ، فى نفس الوقت الذى أغشى فيه مصباح الهليوكوبتر الساطع عينيه ، فألقى مسدسه أرضًا ، وهو يرفع يديه فوق رأسه ، صائحًا :

- لا .. لا تطلقوا النار .. إننى أستسلم .

أحاط به الرجال فى سرعة ، وأداروا ذراعيه خلف ظهره فى قسوة ، وأحاطوا معصميه بأغلال حديدية ، فى نفس اللحظة التى ظهر فيها رجل المخابرات الأمريكى (ماكلوسكى) ، وهو يقترب منه فى بطء وهدوء ، ويُشعل سيجارته ، قائلاً :

- أنت (كاندى) .. أليس كذلك ؟!
أجابه الرجل ، وهو يرتجف ذعرًا :
- بلى يا سيِّدى .. بلى .
نفث (ماكلوسكى) دخان سيجارته فى بطء ، وهو يلقى نظرة على جثة (سواتر) ، قبل أن يعيد بصره إلى (كاندى) ، ويقول :
- من الواضح أنك أكثر حكمة من هذا الغبى ؛ فلقد ألقيت سلاحك على الفور .
ارتجف (كاندى) ، وهو يقول :
- أنا لم أطلق رصاصة واحدة يا سيِّدى .. أقسم لك .
هزَّ (ماكلوسكى) كتفيه ، قائلا :
- لست بحاجة للقسَم يا رجل .. أنا واثق من أنك لم تطلق رصاصة واحدة ، وإلا لكنت الآن جثة هامدة ، إلى جوار رفيقك .
ونفث دخان سيجارته ، قبل أن يستطرد :
- والآن أخبرنى .. كم نسخة صنعتم ، من مشروع (السوبرمان) ؟!
تردَّد (كاندى) لحظة ، قبل أن يجيب فى توتر :

- لن أجيب إلا فى وجود محام .
ابتسم (ماكلوسكى) فى سخرية ، وهو يقول :
- محام ؟! أين تظن نفسك بالضبط أيها الوغد ؟!
أجابه (كاندى) فى عصبية :
- أنا مواطن أمريكى ، ولى حقوق قانونية ، مثل أى مواطن آخر :
- قال (ماكلوسكى) فى سخرية :
- حقوق قانونية ؟!
صاح (كاندى) :
- وأعرف أيضًا بعض ذوى النفوذ .
نفث (ماكلوسكى) دخان سيجارته فى وجهه ، وهو يقول :
- مثل من ؟! (جوانيتو) مثلاً ؟!
أجابه (كاندى) فى حدة :
- (جوانيتو) له اتصالات قوية ، بعدد كبير من السياسيين ورجال الاقتصاد .
ابتسم (ماكلوسكى) فى سخرية ، وهو يلقى سيجارته أرضًا ، ويسحقها بقدمه ، قائلا :
- كانت له اتصالات قوية .

ردَّد (كاندى) مبهوتًا :

- كانت ؟!

تطلّع (ماكلوسكى) إلى عينيه مباشرة ، وهو يقول فى صرامة :

- نعم أيها الوغد .. كانت له اتصالات قوية ، بعديد من السياسيين وعمالقة الاقتصاد ، الذين احتاجوا يومًا لخدماته ، وكانوا من البراعة ، بحيث لم يتركوا خلفهم دليلاً واحدًا يمكن أن يدينهم أو يدينه ، ولكننى أعتقد أن أحدًا من هؤلاء لن يجرؤ على حضور جنازته .

امتقع وجه (كاندى) ، وهو يقول :

- جنازته ؟!

أشعل (ماكلوسكى) سيجارة أخرى فى بطء ، قبل أن يقول :

- بالطبع .. لقد تجاوز ذلك الوغد الأرجنتينى حدوده ، عندما استولى على أحد الأسلحة السرية الاستراتيجية ، وكان من المستحيل أن نسمح له بالحصول عليه ، والاحتفاظ به فى قصره المهيب ، مهما كان الثمن .. لذا ، فقد أصدر الرئيس قرارًا بالتعامل معه مباشرة .

وأطلق ضحكة قصيرة ، ثم تابع فى شىء من الجذل :

- وأراهن على أن ذلك الوغد البدين قد أصابه الهلع ، ولم يصدِّق نفسه ، عندما اقتحمت فرقة من الكوماندوز قصره ، تحت مظلة من طائرات الهليوكوبتر الحربية ، التى قصفت القصر بالصواريخ ، ولقد حاول الاتصال ببعض معارفه ، من ذوى النفوذ ، ولكن كل الاتصالات كانت مقطوعة بالمصادفة ، ويبدو أنه قد أصيب بالهلع أكثر وأكثر ، فأطلق على نفسه أكثر من مائة رصاصة ، من أربع زوايا مختلفة .

ثم غمز بعينه ، مستطردًا فى سخرية :

- وأعتقد أن رجال الطب الشرعى سيعجزون عن وضع الأمر فى صورة انتحار ، مهما بلغت براعتهم .

وتراجع لينفث دخان سيجارته ، ويتابع :

- المهم أننا قد استعدنا النسخة الثالثة من مشروع (السوبرمان) .. والسؤال الآن هو : هل توجد نسخة رابعة أو خامسة ؟!

حدَّق (كاندى) فى عينيه مبهورًا ، ثم قال فى عصبية :

- لست أصدِّق شيئًا من هذا .. أريد استدعاء المحامى الخاص بى .. لن أتحدَّث إلا فى وجود المحامى .

انعقد حاجبا (ماكلوسكى) ، وهو يقول فى صرامة :

- من الواضح أنك لم تستوعب الأمر بعد .

قالها ، وانتزع مسدسه من غمده بحركة سريعة ، ثم أطلق منه رصاصة ، اخترقت قدم (كاندى) ، الذى أطلق صرخة هائلة ، تجمع ما بين الألم والذعر ، ثم لم يلبث أن كتمها فى أعماقه ، عندما جذبه رجل المخابرات الأمريكى إليه فى عنف ، وألصق فوهة مسدسه بصدغه ، صائحًا فى حزم :

- إننا لسنا من الشرطة الفيدرالية يا رجل .. إنك تواجه فريقًا خاصًا ، من فرق المخابرات المركزية ، والأمر يتعلَّق بالأمن القومى للبلاد ، وهذا يعنى أننا سننتزع ما لديك ، حتى لو اضطررنا لسلخ جلدك أو شيِّك حيًّا .. هل تفهم ؟!

هتف (كاندى) فى رعب هائل :

- أفهم يا سيِّدى .. أفهم ، وسأخبركم بكل شىء .. كل شىء .

ولم تمض دقائق ثلاث ، حتى كان يوقِّع اعترافًا كاملاً ..

وبأدق التفاصيل ..

اعتراف يعنى أن السنيورا أصبحت تمتلك بالفعل ، النسخة الرابعة والأخيرة من ذلك المشروع الخاص جدًّا ..

مشروع (السوبرمان) ..

★ ★ ★

« لم نجد له أدنى أثر فى الفندق كله .. »

نطق أحد رجال الشرطة العبارة فى توتر شديد ، انتقل بسرعة البرق إلى رئيسه (أورتيجا) ، الذى قال فى حدة :

- ماذا تعنى بأنكم لم تجدوه ؟! لا يمكن أن يهرب بهذه البساطة .. إنه يعرف الكثير .. والكثير جدًّا .

ثم التفت إلى فريق رجاله ، مضيفًا فى غضب :

- ولو لم نظفر به ، قبل انتهاء المهرجان ، سيعنى هذا نهايتنا جميعًا .. إننى لا أتناول الكعكة كلها وحدى كما تعلمون .. أليس كذلك ؟!

بدا الوجوم على وجوههم جميعًا ، فى حين قال (أندروفيتشى) فى صرامة :

- لا بد أن نخرج للبحث عنه ..

حدَّق (أورتيجا) فى وجهه لحظة بدهشة ، قبل أن يقول فى عصبية :

- نخرج للبحث عنه ؟! هل تدرك عم تتحدَّث بالضبط يا رجل ؟! إنه المهرجان السنوى .. ألا يمكنك استيعاب هذا ؟! مهرجان (ريو دى جانيرو) السنوى .. اليوم الوحيد ، فى العام كله ، الذى لا يوجد فيه موطئ لقدم ، فى كل شارع بالمدينة .. هل تدرك ما الذى يعنيه البحث عن شخص بعينه ، فى يوم كهذا ؟! إنه أشبه بالبحث عن إبرة رفيعة ، فى كومة ضخمة من القش .

أجابه (أندروفيتشى) فى صرامة :

- فليبدأ رجالك فى البحث إذن أيها المفتش ، وليرفعوا قشة قشة ، حتى نجد تلك الإبرة ، وإلا انتهى أمرك وأمرهم .. هل تفهم هذا ؟!

قلب المفتش كفيه فى توتر بالغ ، وهو يقول :

- ولكن أين نبحث ؟! وكيف ؟! الأمر ليس أبدًا بهذه البساطة ! إنه رجل واحد ، وكل ما لدينا دستتين من الرجال ، و ...

قبل أن يتمَّ عبارته ، ارتفع فجأة رنين هاتف (أندروفيتشى) المحمول ، فالتقطه بحركة حادة ، وضغط زر الاستماع ، قائلا :

- (أندروفيتشى) .

انعقد حاجباه فى شدة ، عندما أتاه صوت (أدهم) ، وهو يقول فى سخرية :

- أهلاً أيها الوغد الروسى ، أراهن على أنك تكاد تشتعل غيظًا الآن ، بعد أن أفلتَ من بين يديك .

ضغط (أندروفيتشى) زرًا خاصًا بتسجيل المحادثات ، فى هاتفه المحمول ، وهو يقول :

- إنك لم تغادر المدينة بعد أيها المصرى .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة أخرى ، وقال :

- إنها مسألة دقائق أيها الوغد .. ساعة على الأكثر ، خاصة وقد حصلت على كل ما أحتاج إليه بالفعل .

انعقد حاجبا الروسى فى شدة ، وهو يسأله فى غضب :

- هل تحدَّث الوغد (لاماس) ؟!

لم يجب (أدهم) سؤاله ، وإنما أطلق ضحكة ساخرة أخرى ، وقال :

- إلى اللقاء أيها الروسى .

قالها ، وأنهى المحادثة على الفور ، فازداد انعقاد حاجبى (أندروفيتشى) فى حدة ، وهو يقول فى عصبية :

- اللعنة !

سأله (أورتيجا) فى عصبية شديدة :

- هل غادر المدينة ؟!

هزَّ (أندروفيتشى) رأسه فى قوة ، قائلا :

- ليس بعد .

ثم ضغط زر استعادة المحادثة ، مستطردًا بلهجة آمرة :

- استمع إلى هذه المحادثة جيدًا يا (أورتيجا) ، وأخبرنى ما الصوت الذى تسمعه فى خلفية الحديث ؟!

أرهف (أورتيجا) سمعه جيدًا لحديث (أدهم) ، محاولاً التركيز على الأصوات فى الخلفية ، ثم اعتدل فى حركة حادة ، قائلا فى انفعال :

- إنها طاحونة قطار الشمال .

انعقد حاجبا (أندروفيتشى) أكثر وأكثر ، وهو يقول :

- أأنت واثق يا (أورتيجا) ؟!

أجاب مفتش الشرطة فى انفعال :

- دون أدنى شك يا سنيور .. ذلك الصفير المتصل ، الممتزج بصوت أشبه بالفحيح .. لا أحد فى (ريو دى جانيرو) كلها يمكن أن يخطئ تمييز صوت كهذا .

تألقت عينا (أندروفيتشى) فى شدة ، وهو يقول :

- آه .. هذا يعنى أن (أدهم) قد ارتكب أكبر خطأ فى حياته ؛ لأنه لم يقدِّر ذكائى كما ينبغى ..

ثم أمسك كتف المفتش (أورتيجا) فى شدة ، مستطردًا فى صرامة :

- هيا بنا أيها المفتش .. سنثبت لذلك المصرى أن اللعبة لا يمكن أن تسير دائمًا فى اتجاه واحد ..

وازدادت عيناه تألقًا ، وهو يضيف :

- وأن الأمور يمكن أن تنقلب على رأس صاحبها .. وبمنتهى العنف ..

قالها ، وعيناه تتألقان أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

* * *

تلفت (قدرى) حوله فى توتر ، وألقى نظرة عصبية على طاحونة قطار الشمال ، التى تعلو مبنى أثرى قديم ، فى أقصى ضواحى المدينة ، قبل أن يسأل (منى) :

ـ أخبرينى بالله عليك .. ما الذى أحضرنا إلى هذه المنطقة ؟! إنها تبدو بصمتها وسكونها ، كأنها لا تنتمى إلى (ريو دى جانيرو) ، الغارقة فى صخب لا مثيل له الليلة .

تلفتت حولها بدورها ، قبل أن تقول فى حزم :

ـ انتظر يا (قدرى) ، وستدرك كل شىء بعد قليل .

أجابها فى عناد :

ـ بل أحب أن أعلم الآن .. المفترض أننا هنا للبحث عن (أدهم) ومعاونته ، فى أثناء مواجهته لرجال السنيورا ، ولكننى لمحتك تتحدثين همسًا مع (بترو) ، قبل أن يحملنا إلى هنا ، وبعدها اخترقت هذه البقعة المقفرة بالذات ، فما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟!

صمتت (منى) بضع لحظات ، ثم أجابته فى حزم :

ـ (أدهم) أخبر (بترو) أنه سيلتقى بنا هنا ، فى هذا المكان بالتحديد .

تلفت حوله مرة أخرى ، قبل أن يهتف مستنكرًا :

ـ هنا ؟!

ثم سأل مرة أخرى فى إصرار :

ـ ولماذا لم تأت (جيهان) ؟!

انعقد حاجباها فى شدة ، وهى تجيب :

ـ ربما أرسلها (أدهم) إلى مكان آخر .

حاول أن يهضم الموقف جيدًا ، إلا أنه عجز عن استيعابه ، فقال فى عصبية :

ـ إنكم تخفون عنى أمرًا ما .. أنا واثق من هذا .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى أمسكت (منى) ذراعه فجأةً فى قوة ، قائلةً فى انفعال :

ـ هناك سيارة تقترب .

أدار عينيه فى سرعة إلى حيث تنظر ، ثم قال متوترًا :

ـ ربما هو (أدهم) .

جذبته فى قوة ، نحو مبنى قديم ، وهى تقول فى صرامة :

ـ دعنا نتأكّد من هذا أولاً ، قبل أن نخرج للقائه .

اختفيا معًا داخل ذلك المبنى القديم ، وتطلعت (منى)



لم يكد يتمّ عبارته ، حتى أمسكت (منى) ذراعه فجأة فى قوة ، قائلة فى انفعال :
ـ هناك سيارة تقترب ! ..

فى حذر إلى السيارة ، التى توقَّفت لحظـة ، على مسافة مائة متر من المكان ، ثم لم تلبث أن واصلت تقدُّمها ، وتبعتها سيارتان أخريـان ، حافظتـا على المسـافة بينهما وبينها ، على نحو يوحى بأن قائد السيارات الثلاث شخص يجيد استراتيجية الحركة ..

وأنه ليس (أدهم صبرى) حتمًا ..

وفى اهتمـام حذر ، راحت مع (قدرى) يراقبان السيارات الثلاث ، التى توقَّفت على مقربة من المكان ، وهبط منها (أندروفيتشى) ، فغمغمت (منى) :

ـ كما توقَّعت .. إنه الروسى .

شهق (قدرى) فى ذعر ، مغمغمًا :

ـ ذلك السفّاح ؟!

ثم أردف هامسًا فى ذعر :

ـ لمـاذا طلب منـا (أدهـم) أن نلتقـى به هنا ؟! لماذا ؟!

أشارت إليه (منى) فى حزم ، قائلة :

ـ اصمت وتماسك يا رجل .. الموقف لا يحتمل كل هذا .

قالتهـا فى عصبية زائدة ، وهى تتطلَّع من مخبئها

إلى (أندروفيتشى) ، الذى وقف وقفة صارمة ، على ضوء السيارات الثلاث ، وهو يعقد كفيه خلف ظهره ، وتطلّ من وجهه لمحة غامضة ، تبرزها أضواء السيارات الثلاث ، التى غمرت المكان ..

وتساءلت (منى) فى حيرة : ما الذى يفعله الروسى بالضبط ؟!

لقد بلغ المكان بالفعل ، فلماذا يقف أمام السيارات الثلاث ، وضوؤها يغمره تمامًا ، وكأنما يتعمّد أن يراه كل مخلوق ، فى دائرة نصف قطرها خمسة كيلومترات على الأقل ؟!

ثم لماذا لم يغادر أحد غيره السيارات حتى الآن ؟!

ما الذى ينتظرونه ؟!

بل ما الذى يفعلونه ؟!

وفجأة ، انتبهت للأمر ..

وسرت فى جسدها قشعريرة باردة كالثلج ..

لقد فهمت الآن فقط ما يفعله الروسى ..

إنه أسلوب سوفيتى قديم ، من أيام القياصرة ..

لقد خرج من السيارة ، ووضع نفسه فى دائرة الضوء ، ليجذب انتباه أى شخص فى المكان ، ويثير تساؤلاته ..

وفى الوقت ذاته ، ينتشر رجاله فى المنطقة كلها ، ويبحثون عن أى متسلّل أو مختبئ ، و ...

« أرفعا أيديكما .. »

انطلقت العبارة من خلفهما فى صرامة شديدة ، وعلى نحو انتفض له جسدها وشهق معه (قدرى) فى قوة ، وهما يلتفتان فى سرعة إلى مصدر الصوت ..

وكان خلفهما اثنان من رجال الشرطة ، يصوّبان إليهما مدفعين آليين ..

وفى صرامة شديدة ، قال أحدهما :

- تحركا أمامنا .. سنيور (أندروفيتشى) سيسعده أن يلتقى بكما .

نهض الاثنان فى بطء ، و (منى) تقول :

- هذا يدهشنى فى الواقع ، فلسنا نشعر بأدنى قدر من السعادة للقائنا به .

دفعها الرجل أمامه فى قسوة ، قائلا :

- أخبريه بهذا ، عندما تقفى أمامه .

ولم يكد (أندروفيتشى) يلمحهما ، ورجلا الشرطة يدفعانهما نحوه ، حتى تألّقت عيناه ، وهو يقول :

- آه .. من كان يتوقّع هذا .. فتاة المخابرات

المصرية المدهشة ، صديقة أسطورتنا الحية (أدهم صبرى) ، وبصحبتها برميل من الشحم .. يا له من صيد رائع .

انعقد حاجبا (قدرى) ، وهو يقول فى عصبية :

- من برميل الشحم هذا ؟!

برز (أورتيجا) من إحدى السيارات ، فى تلك اللحظة ، وهو يقول فى عصبية :

- إنه ليس ذلك المصرى ، الذى نبحث عنه .

ابتسم (أندروفيتشى) فى ثقة ، وهو يقول :

- إنهما أفضل منه أيها المفتش ، فوجودهما بين أيدينا هو الورقة الرابحة ، التى ستضمن وقوعه فى قبضتنا .. إنه لن يضحى بهما قط ، فهذه الفتاة هى زميلته الأثيرة ، والبعض يؤكد أنها المرأة الوحيدة ، التى خفق لها قلبه ، أما برميل الشحم هذا ، فهو أبرع مزوّر فى جهاز المخابرات المصرى .. بل أبرع مزوّر فى العالم أجمع .

ارتفع حاجبا (قدرى) فى دهشة ، وهو يقول :

- عجبًا ! لم أكن أتصوّر أننى شهير إلى هذا الحد !

أجابه (أندروفيتشى) فى سخرية :

- (قدرى) العبقرى ، ذو الأصابع البلاتينية ! من ذا الذى يجهل أستاذًا مثلك ، يمكنه تزوير الخاتم الملكى البريطانى ، دون أن تنتبه الملكة نفسها إلى هذا .

ثم انعقد حاجباه فجأة ، وهو يستطرد فى صرامة مباغتة :

- ارفع يدك اليمنى أيها العبقرى .. أريد أن أرى تلك الأصابع الذهبية فى وضوح .

بدا التوتر على وجه (منى) ، فى حين شحب وجه (قدرى) ، وهو يمسك يده اليمنى بيسراه ، قائلا فى ذعر :

- يدى اليمنى ؟! لماذا ؟!

صاح به (أندروفيتشى) فى صرامة مخيفة :

- ارفع يدك اليمنى .

ارتجف (قدرى) من قمة رأسه ، وحتى أخمص قدميه ، وهو يرفع يده اليمنى ، فى مواجهة الروسى ، الذى تطلّع إليها لحظة ، قبل أن يقول فى سخرية :

- عجبًا ! أهذه الأصابع القصيرة المكتظة ، هى التى تصنع كل هذه المعجزات ؟! يا للغرابة !!

ثم التفت إلى أحد رجال (أورتيجا) ، قائلا بلهجة آمرة :

ـ أطلق النار على يده .

اتسعت عينا (منى) فى ذعر ، وصرخ (قدرى) :

ـ لا .. إلا يدى .

ولكن الجندى أطاع أمر (أندروفيتشى) بسرعة مدهشة ، فرفع مسدسه ، و ...

وردَّدت المنطقة كلها دوى الرصاصة ، مع تلك الصرخة ..

صرخة رجل تحطَّمت عظام يده ..

وبمنتهى العنف .

* * *



٥ ـ وجهًا لوجه ..

أشعل رجل المخابرات الأمريكى (ماكلوسكى) سيجارته فى بطء ، ونفث دخانها فى سقف الحجرة ، قبل أن يقول لرئيسه المباشر ، داخل حجرة مكتب هذا الأخير :

ـ الأمور تسير بسرعة مدهشة للغاية ، حتى إن (أمريكا) ستستيقظ غدًا لتجد أن أشياء كثيرة قد انقلبت رأسًا على عقب .. عزل الجنرال (دوايت) من منصبه ، ومصرع (جوانيتو) ، وكشف مصنع الأسلحة السرى ، وتورط عدد من المسئولين والسياسيين ، ورجال الاقتصاد فى الأمر .. قائمة ضخمة من الأخبار ، تكفى لإصدار جريدة مستقلة ، ولكن المؤكد أن أحدًا لن يسمع بأمر مشروع (السوبرمان) .

أجابه رئيسه فى صرامة :

ـ وعلى الرغم من هذا ، فلم ننجح بعد فى تحديد موقع تلك السنيورا ، أو التوصل إلى وكرها النووى .

تنهَّد (ماكلوسكى) ، وهزَّ رأسه فى قوة ، قائلاً :

ـ لقد بذلنا قصارى جهدنا ، ولكن من الواضح أن تلك المرأة بارعة للغاية ، فالهاتف الذى تستخدمه من طراز خاص للغاية ، يمكن استخدامه من أية بقعة فى العالم ، عبر الأقمار الصناعية ، وهى لا تلتقى شخصيًّا إلا بعدد محدود من الأشخاص ، الذين تحتاج إلى التعامل معهم مباشرة ، وتتخلَّص بمنتهى القسوة من كل من عداهم ، كما فعلت مع الطبيب والممرضة ، اللذين رأيا وجهها فى (المكسيك)(*) .. لقد أرسلت من يقتلهما بلا رحمة ، بعد فرارهما من هناك .. وفى هذه المرة ، استخدمت عنوانًا داخل الولايات المتحدة ، ليرسل إليه (سواتر) و (كاندى) نسخة مشروع (السوبرمان) ، وكان هذا هو الغرض الوحيد للعنوان ، ففور وصول الطرد ، تم إخلاء المكان على الفور ، دون ترك دليل واحد ، يمكن أن يقود إلى مستأجريه .. بطاقات ائتمانية مزوَّرة ، أشخاص متنكرون على الأرجح ، وحتى أرقام سيارات وهمية ، لا وجود لها ..

(*) راجع قصة (قبضة الشر) .. الغامرة رقم (١٠٨) .

كل شىء تم إعداده بدقة مذهلة ، تجعلنى أخشى هذه المرأة ، دون حتى أن ألتقى بها .

زفر رئيسه فى عصبية ، مغمغمًا :

ـ هذا ما كان ينقصنا .. أن تستولى على مشروع (السوبرمان) أيضًا .

أشار (ماكلوسكى) بيده ، قائلاً :

ـ الأمر الذى يدهشنى ، ويثير تساؤلى بحق ، هو : لماذا تحتاج إلى سلاح مثل مشروع (السوبرمان) ، لو أنها تستعد لمشروع نووى مخيف ؟!

هزَّ رئيسه كتفيه ، قائلاً :

ـ لحماية المشروع بالتأكيد .

نفث (ماكلوسكى) دخان سيجارته مرة أخرى فى عمق ، ثم قال :

ـ ربما يا سيِّدى .. ربما .. ولكن تلك المرأة ليست سهلة أو هيِّنة أبدًا ، وأساليبها أبعد ما يكون عن المباشرة فى المعتاد .

قال رئيسه فى حدة :

ـ عظيم يا (ماكلوسكى) .. هل قرَّرت الاستقالة من الجهاز ، والاكتفاء بالعمل كمحلِّل نفسى اجتماعى ؟!

ابتسم (ماكلوسكى) فى سخرية ، وهو يقول :
- لست أعتقد أن مهنة المحلل النفسى ستروقنى يا سيدى ، ولكننى فهمت ما تعنيه ، وسأواصل عملى على الفور .
قالها ، وأطفأ سيجارته فى المنفضة ، ثم اتجه نحو الباب ، ولكن رئيسه استوقفه ، قائلاً فى صرامة :
- (ماكلوسكى) .. هناك أمر خاص ، ينبغى أن تعرفه .
التفت إليه (ماكلوسكى) متسائلاً ، فتابع فى شدة :
- الرئيس قال : إنه إذا ما نجحت تلك الأفعى فى إكمال مشروعها ، فستكون هذه نهاية عملنا هنا .. أنت وأنا .
انعقد حاجبا (ماكلوسكى) ، وهو يتطلع إلى رئيسه فى صمت طويل ، انتهى بقوله :
- فهمت .
ثم غادر الحجرة ، وأغلق بابها خلفه ، وهو يدرك أن الأمر لم يعد يقتصر على مواجهة السنيورا فحسب ..
لقد تحول أيضًا إلى قضية شخصية ..
شخصية للغاية ..

* * *

أدارت السنيورا عينيها فى بطء ، بين شاشات العرض الأربع ، التى تنقل إليها وجوه عمالقة الاقتصاد الأربعة ، الذين تعتمد عليهم ، فى تمويل مشروعها النووى ، وقالت بالإنجليزية ، التى يجيدها الجميع :
- لقد شرحت لكم خطتى أيها السادة ، وأحب سماع تعليقاتكم .
ران على تلك الحجرة السرية صمت رهيب ، قطعه الأمريكى ، قائلاً :
- دعينا نستوعب الأمر مرة أخرى يا سنيورا .. إنك تحاولين إنتاج قنبلة محدودة ، فى زمن قياسى ، بحيث يتم تفجيرها فى أسرع وقت ممكن ، على نحو يعلن للعالم أجمع أننا أصبحنا نمتلك مخزونًا نوويًا بالفعل ، وعندما يفيق العالم من الصدمة ، وتبدأ مرحلة المفاوضات ، نكون قد أنتجنا باقى القنابل بالفعل .
أجابته فى حزم :
- بالضبط .. لقد أدركت معظم أجهزة المخابرات فى العالم ما نحن بصدده ، وهناك رجل مخابرات

أسطورى يطاردنا بالفعل ، وأخشى أن يتوصَّل إلى شىء ما ، خلال الساعات القليلة القادمة ، لذا فأفضل ما نفعله هو أن نبكِّر بإعلان وجودنا ، ثم نبدأ فى فرض شروطنا ، وأولها أن يتم إيقاف كل عمليات المخابرات ، أو عمليات البحث العسكرية ، وإلا نسفنا المدن الكبرى بقنابلنا الذرية .

سألها اليابانى قلقًا :

ـ وهل تعتقدين أنهم سيصدقون هذا ، أو يتأثَّرون به ؟!

ابتسمت فى ثقة ، مجيبة :

ـ القنابل الذرية لها صوت مسموع للغاية ، ولا أحد يمكنه أن يصمَّ أذنيه عنه ..

وتراجعت فى مقعدها ، مستطردة فى ثقة أكبر :

ـ نعم .. سيصدقون ويتأثرون ، لأنهم يجهلون أن ما فجَّرناه هو قنبلتنا الوحيدة .. لن يتصوَّروا قط أننا لا نمتلك سواها ، وأن شقيقاتها لم تخرج إلى الوجود بعد .

ران الصمت على المكان مرة أخرى لبعض الوقت ، قبل أن يقول الروسى :

ـ أعتقد أنها خطة جيِّدة .

وأسرع الاسترالى يقول :

ـ أنا أوافق أيضًا .

ومرَّت لحظة من الصمت ، قبل أن يسأل اليابانى فى حذر :

ـ ومتى يتمّ تفجير القنبلة ؟!

أجابته السنيورا فى حزم :

ـ بعد اثنتى عشرة ساعة بالضبط .. إنتاجها سيستغرق تسع ساعات أخرى ، ونقلها إلى منطقة التفجير سيحتاج إلى ثلاث ساعات إضافية ، منها ساعة للابتعاد عن المكان ، قبل لحظة الانفجار .

سألها الأمريكى فى قلق :

ـ وأين سيتمّ التفجير ؟!

تراجعت فى مقعدها أكثر ، وهى تجيب :

ـ فى صحراء (أريزونا) .

هتف الأمريكى معترضًا :

ـ ولماذا صحراء (أريزونا) بالذات ؟! لِمَ لا يتمّ تفجيرها فى أية دولة من دول العالم الثالث ؟!

أجابته فى سرعة ، توحى بأنها كانت تنتظر السؤال وتتوقَّعه :

ـ لأن صحراء (أريزونا) كبيرة شاسعة ، وخالية تمامًا من السكان ، ومن الخطأ أن نبدأ الأمر بقتل العديدين ، وإلا انقلبت علينا الدنيا كلها ، وتأثَّر فريق علمائنا ، وصار إجبارهم على مواصلة عملهم أكثر صعوبة .

ران الصمت مرة أخرى على المكان ، وكأنما يعيد الجميع دراسة الموقف ، قبل أن يقول الاسترالى مرة أخرى :

ـ مازلت أوافق يا سنيورا .

وكأنما فتحت عبارته ألسنة الآخرين ، فتوالت موافقاتهم فى سرعة ، تألَّقت معها عينا السنيورا ، وهى تقول :

ـ عظيم أيها السادة .. عظيم .. أؤكِّد لكم أنكم لن تندموا أبدًا على قراركم هذا ، وأن استثماراتكم ستحقق عائدًا كبيرًا .. عائدًا يفوق كل توقعاتكم ألف مرة .

وتضاعف تألُّق عينيها ، حتى كاد يفوق ضوء الحجرة القوى ..

ألف مرة ..

★ ★ ★

لم يكد رجل الشرطة البرازيلى يرفع فوهة مسدسه ، ليطلق النار على يد (قدرى) اليمنى ، حتى دوت فى المكان رصاصة ، اخترقت يد رجل الشرطة ، وحطمت عظامها بمنتهى العنف ، فطار المسدس من يده ، وهو يطلق صرخة ألم هائلة ، امتزجت بهتاف (منى) و (قدرى) فى آن واحد :

ـ يا إلهى ! (أدهم) .

التفت الجميع إلى مصدر الرصاصة ، ووقعت أبصارهم على (أدهم) ، الذى يقف فوق سطح ذلك المبنى القديم ، قائلاً فى صرامة :

ـ لا يمكننى أن أسمح بحدوث هذا الأمر ثانية قط .

قالها ، ووثب من فوق سطح المبنى الصغير وثبة مدهشة ، هبط بعدها على قدميه ، ثم اعتدل فى سرعة مستطردًا :

ـ يكفى أن يفقد صديقى (قدرى) مهارته مرة واحدة ، فى حياته كلها .

سرت موجة عنيفة من التوتر ، وسط (أورتيجا) ورجاله ، الذين ألقوا أسلحتهم على الفور ، فى حين بدا (أندروفيتشى) هادئًا مبتسمًا ، على نحو عجيب ، وهو يقول :



ووثب من فوق سطح المبنى الصغير وثبة مدهشة ،
هبط بعدها على قدميه ..

ـ كنت أعلم أن هذا سيجبرك على الظهور .

سأله (أدهم) فى حذر :

ـ ماذا تعنى ؟!

أجابه (أندروفيتشى) فى سرعة وحزم :

ـ أعنى أنك لست العبقرى الوحيد فى مضمارنا يا رجل .. أنا أيضًا شهد لى الجميع بالعبقرية ، خلال فترة عملى فى المخابرات السوفيتية ، وخطتى هذه تشهد على هذا ، وتؤكد أننى خبير أيضًا فى التعامل مع المواقف النفسية ، واستنتاج ما يمكن حدوثه .. وعندما أمرت رجل الشرطة بإطلاق النار ، على اليد اليمنى لرفيقك المزوِّر هذا ، كنت واثقًا من أن هذا سيدفعك إلى التدخُّل مباشرة فى سرعة ، وسيضطرك إلى إعلان وجودك وموقعك ، بدلاً من أن تباغتنا بهجوم مفاجئ .

قال (أدهم) فى سخرية :

ـ ولكننى أسيطر على الموقف ، على الرغم من هذا .

ابتسم (أندروفيتشى) فى سخرية أكبر ، قائلاً :

ـ هذا ما تتصوَّره .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى برز أربعة من رجال (أورتيجا) بغتة ، وكلهم يصوبون مدافعهم الآلية نحو (منى) ، فانعقد حاجبا (أدهم) فى شدة ، فى حين قهقه (أندروفيتشى) ضاحكًا ، وهو يقول :

- والآن ما رأيك أيها العبقرى .

أجابه (أدهم) فى صرامة :

- رأيى أنك وغد يا (أندروفيتشى) .

قهقه الروسى ضاحكًا مرة أخرى ، وقال :

- وغد عبقرى يا سيِّد (أدهم) .. أنا أعلم أنك بارع للغاية ، وأنك قادر على الإفلات من رصاصاتنا ، ولكن زميلتك الحبيبة ليست كذلك ، وهؤلاء الرجال الأربعة يصوبون إليها مدافعهم الآلية ، ومهما بلغت سرعتك ، فأحدهم سينجح فى إطلاق رصاصاته نحوها ، وهذا مالا يمكنك أن تسمح بحدوثه .

ثم التقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يضيف فى حزم :

- هيا .. اعترف أنك قد خسرت معركتك هذه المرة .

ران صمت رهيب على المكان لبضع لحظات ، قبل أن يقول (أدهم) فى ضيق واضح :

- يبدو أنه لا مفر من الاعتراف أيها الوغد .

قالها ، وألقى مسدسه فى قوة ، ليسقط عند قدمى (أندروفيتشى) مباشرة ، فهتف (أورتيجا) فى انفعال :

- لا تقتله ، قبل أن نستعيد الشريط يا سنيور .

انحنى (أندروفيتشى) يلتقط مسدس (أدهم) ، وهو يقول :

- انس أمر ذلك الشريط يا (أورتيجا) .

ثم رفع المسدس بسرعة ، وأطلق ثلاثًا من رصاصاته ، نحو رأس (أدهم) مباشرة ، وهو يستطرد صائحًا :

- المهم أن نظفر بـ (أدهم صبرى) .

وصرخت (منى) فى هلع ، عندما وثب جسد (أدهم) إلى أعلى ، ثم سقط على ظهره ، والدماء تغرق جبهته ، على نحو يوحى بأن الروسى قد نجح فى إصابة هدفه ..

بمنتهى الدقة ..

★ ★ ★

لثانية أو يزيد ، لم يستطع عقل (قدرى) استيعاب ما حدث أمامه ، حتى صرخت (منى) :

- لا .. ليس (أدهم) .

ثم تهاوت فاقدة الوعى ، وكأنها لم تحتمل مصرع الرجل الوحيد ، الذى منحته قلبها ، أمام عينيها على هذا النحو ..

وبعد سقوطها بلحظة واحدة ، صرخ (قدرى) :

- (أدهم) ؟! يا إلهى ! يا إلهى !!

انطلقت صرخته وسط صمت شمل الجميع فى رهبة ، وكأنهم لا يصدّقون أن الرجل ، الذى فعل بهم كل هذا ، قد انتهى أمره بهذه الوسيلة ..

وانفجر (قدرى) باكيًا فى عنف ..

تفجّرت دموعه تنعى صديقه الوحيد فى هذه الدنيا ..

ومع دموع (قدرى) ، برقت عينا (أندروفيتشى) فى شدة ، وغمغم :

- يا للشيطان ! لقد فعلتها هذه المرة بحق ..

ثم صرخ مكرّرًا :

- لقد فعلتها .

حدّق الجميع فيه فى توتر ذاهل ، وكأنما لم يخرجوا من انفعالهم بعد ، فى حين انتزع هو هاتفه

المحمول من جيبه ، وضغط أزراره فى سرعة ، ولم يكد يسمع صوت السنيورا ، حتى كرّر مرة أخرى :

- فعلتها هذه المرة يا سنيورا .. قتلت (أدهم صبرى) ، وها هى ذى جثته أمام عينىّ .

صاحت السنيورا فى لهفة شديدة :

- قتلته ؟! جثته أمام عينيك ؟! أخيرًا يا (أندروفيتشى) ! أخيرًا ..

أطلق الروسى ضحكة انفعالية عالية ، وهو يقول :

- نعم .. أخيرًا يا سنيورا .. أخيرًا انتهى أمر (أدهم صبرى) ، الذى ..

قبل أن يتمّ عبارته ، تجمّدت كل قطرة دم فى عروقه ، مع تلك الضحكة الساخرة المميّزة ، التى انطلقت فجأة فى المكان ..

ضحكة لم تكد تسمعها السنيورا ، حتى صرخت :

- أيها الغبى !! أيها الغبى .

وألقت هاتفها المحمول بكل قوتها عبر الحجرة ، ليتحطّم على الجدار فى عنف ، وهى تكرّر بكل غضب وحنق ومرارة الدنيا :

- أيها الغبى الروسى .. أيها الغبى .

أما (أندروفيتشى) ، فقد تجمَّدت أصابعه على هاتفه المحمول ، وهو يحدِّق فى (أدهم) ، الذى نهض من سقطته ، وهو يمسح الدماء الزائفة عن جبهته بمنديله ، قائلاً فى سخرية :

ـ هذا ما كنا نسعى إليه أيها الوغد الروسى .

اتسعت عيون (أورتيجا) ورجاله فى ذهول ، انتزع الروسى نفسه منه بسرعة مدهشة ، وهو يصوِّب مسدسه مرة أخرى إلى (أدهم) ، صارخًا :

ـ أيها الـ ...

قبل أن تضغط سبَّابته الزناد ، ازدحم المكان فجأة ..

أكثر من مائة رجل ، من محاربى القبائل الوطنية ، برزوا فجأة ، فى دائرة واسعة ، تحيط بالجميع ، وهم يصوِّبون رماحهم وسهامهم إلى الروسى و (أورتيجا) ، وكل رجال الشرطة ..

وبابتسامة ساخرة للغاية ، قال (أدهم) :

ـ لا تحاول يا عزيزى (أندروفيتشى) .. كل رصاصات المسدس زائفة ، فيما عدا الرصاصة الأولى ، التى نسفت بها كف ذلك الشرطى .

شهق (قدرى) بغتة ، وهو يهتف فى سعادة غامرة :

ـ يا إلهى ! أنت حى يا (أدهم) .. أنت حى .

فوجئ بـ (منى) تنهض فجأة ، قائلة :

ـ إنه حى بالطبع يا (قدرى) .. هل كنت تتصوَّر أنه من الممكن القضاء على (أدهم صبرى) بهذه البساطة ؟!

حدَّق (قدرى) فيها ، هاتفًا :

ـ يا إلهى ! أنت أيضًا لم تفقدى الوعى .

نفضت (منى) الغبار عن ثوبها ، وهى تقول مبتسمة :

ـ بالطبع يا (قدرى) .. كل شىء كان معدًّا بدقة بالغة .

فاجأه صوت (جيهان) ، التى ظهرت من خلف المبنى القديم ، وهى تعقد ساعديها أمام صدرها ، قائلة :

ـ وأعتقد أننا وصلنا فى الوقت المناسب .

أدار (قدرى) عينيه بينهم فى ذهول ، قبل أن يهتف فى غضب :

ـ إذن فالجميع كان يعرف ما حدث فيما عداى وحدى .

أجابه (أدهم) ضاحكًا :

- ما كنت لتؤدى دورك بهذه البراعة ، لو أنك تعلم يا عزيزى (قدرى) ، فانهيارك الطبيعى هو الذى أقنع وغدنا الروسى بأن الأمر حقيقى ، وليس مجرَّد خدعة .

عضَّ (أندروفيتشى) شفته السفلى غيظًا ، وهو يقول :

- لعبة بارعة يا سيِّد (أدهم) ، ولكن ألا ترى مثلى أنها خطة معقَّدة للغاية ، لتسخر منا .

رفع (أدهم) حاجبيه ، فى دهشة مصطنعة ، وهو يقول فى سخرية :

- أسخر منكم ؟! يا للسخافة ! إن هذا لا يستحق بذل أدنى جهد أيها الوغد الروسى ، فكل ما تفعلونه يكفى للسخرية منكم .

ثم مال نحوه ، مستطردًا :

- لقد فعلنا كل هذا ، لتدفعك إلى الاتصال بالسنيورا .

انعقد حاجبا (أندروفيتشى) فى شدة ، وهو يقول فى عصبية :

- لا تحاول خداعى يا سيِّد (أدهم) .. أنت تعلم

مثلى أن الهواتف المحمولة هواتف رقمية ، لا يمكن التنصُّت عليها(*) .

أشار (أدهم) بسبَّابته ، قائلاً :

- هذا صحيح ، ولكن من الممكن تعقُّبها ، وتحديد موقعها تقريبيًّا(**) .

ثم فرقع سبَّابته وإبهامه ، مستطردًا :

- وهذا ما فعلناه .

زاغت عينا الروسى ، وهو يحدِّق فى (بترو) ، الذى انفصل عن جيش البدائيين ، وأسرع بجهاز كمبيوتر متنقِّل إلى (أدهم) ، الذى التقطه ، مواصلاً حديثه :

- إنه نفس البرنامج ، الذى استخدمته أنت ؛ لتحديد موقعى فى الفندق ، فمن سوء حظك أن التكنولوجيا متاحة للجميع فى هذا العصر ، ومن الطبيعى أن يحصل عليها كل من يملك ثمنها ،

(*) حقيقة ، فالهواتف الرقمية تحوِّل الصوت إلى أرقام كمبيوترية ، لا يمكن استقبالها ، أو إعادة تحويلها إلى موجات صوتية ، إلا عند الهاتف المستقبل وحده .

(**) حقيقة .

ومشكلتك أننى استطعت الحصول على رقم هاتفك المحمول ، عندما اتصل بك ذلك الوغد ، ليخبرك أنه لم يجد البروفيسير (مانهايم)(*) .

قال (أندروفيتشى) فى عصبية :

- الهواتف المحمولة لا يمكن تعقُّبها بنفس الدقة ، التى يتم بها تعقُّب الهواتف الثابتة .!

هزَّ (أدهم) كتفيه ، وهو يضغط أزرار الكمبيوتر المتنقل ، الذى يحمله (بترو) ، قائلاً :

- ولكن البرنامج أمكنه تحديد موقع الهاتف الآخر ، الذى كنت تتحدث إليه ، على نحو تقريبى ، يمكننا معه وضع دائرة أكثر تحديدًا لموقع السنيورا .

وألقى نظرة على الشاشة ، ثم أكمل بابتسامة ظافرة :

- إنها فى (بوليفيا) .. أليس كذلك ؟!

انتفض جسد (أندروفيتشى) فى عنف ، وهو يقول فى غضب :

- أيها الـ ...

(*) راجع الجزء الأول من (رياح الخطر) .. المغامرة رقم (١١٣) .

قاطعه (أدهم) فى سرعة وسخرية :

- الـ ماذا يا عزيزى (أندروفيتشى) ؟! إنك لن تجد حتى ما يصلح لوصف هذا الموقف .. هذه هى مشكلة الهزيمة .. لا أحد يمكنه أن يحتملها ، أو يعترف بها فى سهولة ، ولكنها حقيقة واقعة .

ثم التقط نفسًا عميقًا ، وتابع :

- هيا أيها الوغد الروسى .. اعترف بالهزيمة .. أو ارفض حتى الاعتراف بها ، فأمرك لم يعد يعنينى .. إننا سنتركك هنا الآن ، فى حراسة هؤلاء الأصدقاء ، الذين لا يفقهون شيئًا عن التكنولوجيا ، ولكنهم يحملون رماحًا قوية ، ذات أطراف مسمومة ، تكفى لقتل كل من تخدشه .. إلى اللقاء يا (أندروفيتشى) ، ولا داعى لأن تشعر بالمرارة والعار طويلاً .. إنه أمر طبيعى فى لعبتنا ، هناك دائمًا رابح وخاسر .

انهار (أورتيجا) راكعًا على قدميه ، وهو يهتف :

- الرحمة يا سنيور (أدهم) .. الرحمة .. لا تتركنا هنا بين أيديهم .. إنهم سيقتلوننا بلا هوادة ، دون أن يطرف لهم رمش .

أجابه (أدهم) فى صرامة :

- انهض واقفًا على قدميك يا رجل .. إنهم لن يقتلوا أحدًا .

ألقى (أندروفيتشى) نظرة سريعة على ساعته ، ثم قال بغتةً :

- قل لى يا رجل المخابرات المصرى : ماذا لو أننى لم أطلق النار عليك من مسدسك ؟! ماذا لو كنت قد أمرت أحد رجالى بقتلك ؟!

ابتسم (أدهم) فى ثقة ، قائلاً :

- لم تكن لتفعل يا (أندروفيتشى) .. هذا هو الاعتماد على التحليل النفسى لشخصية الخصم ، كما درسنا كلانا .. لقد ألقيت مسدسى تحت قدميك بالتحديد ، فى موقف بدا لك وكأنه ذروة الانتصار ، ولم يكن بإمكانك مقاومة إغراء قتلى بمسدسى .. هذا جزء من طبيعتك .

سأله (أندروفيتشى) فى لهفة مبالغة :

- وماذا لو كنت قد أطلقت النار على زميلتك بدلاً منك .

التقى حاجبا (أدهم) ، وهو يتطلَّع إليه فى حذر ، وقد بدا له أن أسئلته لا تعنى شيئًا محدودًا ، فيما عدا ..

فيما عدا رغبته فى إضاعة بعض الوقت ..

ولكن لماذا ؟!

ما الذى ينتظره بالضبط ؟!

وبسرعةً ، رفع (أدهم) ساعته إلى عينيه ؛ ليفهم ما ينتظره الروسى ، و ...

وقبل حتى أن يلقى نظرة على عقارب الساعة ، انقطع التيار الكهربى بغتة ، فى (ريو دى جانيرو) كلها ، وهوى الظلام دفعة واحدةً ..

وهذا بالضبط ما كان ينتظره (أندروفيتشى) ..

وما كان يضيع الدقائق من أجله ..

تلك اللحظة المتميِّزة ، فى كل مهرجان سنوى فى (ريو دى جانيرو) ..

اللحظة التى ينقطع فيها التيار الكهربى ، فى المدينة كلها ..

ومع انقطاعه ، صرخ (أندروفيتشى) :

- أطلقوا النـار .

أطلق الصرخة ، ومعهـا رصاصتين زائفتيـن ، من مسدس (أدهم) ..

وكان هذا يكفى لاشتعال الموقف كله دفعة واحدة ..

فمع دوى الرصـاصتين ، انطلقت صرخـات قتاليــة مخيفة ، من البدائيين ..

وانطلقت رماحهم المسمومة وسط الظلام ..

وكـان من الطبيعى أن يطلـق (أورتيجـا) ورجالـه اليانسون النار ، فى محاولة لإنقاذ حياتهم ..

ومن الطبيعى أيضًا أن تسود موجــة هائلــة مـن الهرج والمرج والفوضى ، وسط ظلام دامس ..

وهذا كل ما ينشده (أندروفيتشى) ..

فوسط كل هذا ، انطلق يعـدو نحـو واحـدة مـن السيارات الثلاث ، وقفز داخلها ، وهو يهتف :

- لقـد ربحـت هذه الجـولة يا (أدهــم) ، ولكن المباراة لم تنته بعد .

وانطلق بالسيارة كالصاروخ ، غير مبـال بالأجساد التى لرتطم بها فى طريقه ..

بل ولم يعد يعنيه مـا إذا كـانوا مـن البدائيين ، أو حتى من رجال المفتش (أورتيجا) ..

فلقد حمل عقله فكرة واحدة ..

لا يمكن أن يربح (أدهم) المباراة فى النهاية .. مهما كان الثمن .

★ ★ ★



٦ - عملية تصفية ..

موجة هائلة من التوتر والمخاوف هاجمت السنيورا ، بعد سماعها ضحكة (أدهم) الساخرة ، عبر هاتفها الخاص ..

تُرى ما الذى حدث هناك ، فى (ريو دى جانيرو) ؟!

ما الخدعة التى استخدمها (أدهم) هذه المرة ؟!

ولماذا ؟!

التقطت قدّاحتها الذهبية ؛ لتشعل سيجارتها الطويلة ، وراحت تنفث دخانها فى عصبية ، وهى تدور فى حجرتها كوحش حبيس ..

هناك شىء ما حتمًا ..

(أدهم) لا يعبث ، فى مثل هذه الأمور ..

لقد تظاهر بالموت ، على نحو نجح فى خداع (يورى أندروفيتشى) ، رجل المخابرات السابق ..

ثم فجأة ، وعندما تحدَّث إليها (يورى) ، نهض (أدهم) يعلن أنه ما زال على قيد الحياة !!

فلماذا ؟!

ما الذى يسعى إليه بالضبط ؟!

لم تتوقَّف لحظة واحدة عن الحركة فى حجرتها ، وهى تنفث دخان سيجارتها فى عصبية شديدة ، وعقلها يعمل ..

ويعمل ..

ويعمل ..

ويعمل ..

و ...

وفجأة ، توقَّفت السنيورا ..

وانطلق عقلها فى اتجاه واحد ..

وسرت فى جسدها قشعريرة باردة ، لم تلبث أن تحوَّلت إلى انتفاضة مكتومة ، وهى تهتف :

- يا للشيطان ! لقد تعقَّب المحادثة !!

أطلقت هاتفها ، وقفزت إلى جهاز الكمبيوتر الخاص بها ، وراحت تضغط أزراره فى سرعة ، ثم انعقد حاجباها فى شدة ، وهى تغمغم :

- نعم .. هذا ممكن للأسف !!

تراجعت بمقعدها فى حدة ، وألقت سيجارتها فى حنق ، مستطردة :



أطلقت هتافها ، وقفزت إلى جهاز الكمبيوتر الخاص بها ، وراحت تضغط أزراره فى سرعة

- ذلك الوغد (أندروفيتشى) جذبه إلى هنا بغبائه .

ازداد انعقاد حاجبيها ، وهى تعيد دراسة الأمر مرات ومرات ..

لقد تعقّب (أدهم) المحادثة بالتأكيد ..

ويعلم الآن أنها هنا ..

فى (بوليفيا) ..

وهو لن يضيع لحظة واحدة كعادته ..

عزاؤها الوحيد هو أن هاتفها الخاص لا يمكن تحديد موقعه بدقة .

وهذا يعنى أن كل ما يعرفه (أدهم) هو أنها فى مكان ما فى (بوليفيا) ..

وهذا يكفى رجلاً مثله ..

أشعلت سيجارة أخرى ، وهى تهتف فى حنق :

- اللعنة ! كل ما أحتاج إليه إحدى عشرة ساعة فحسب ..

أما من وسيلة لإيقاف ذلك الشيطان ؟!

نفثت دخان السيجارة الثانية ، وهى تعتصر عقلها .. وتعتصره ..

وتعتصره ..

ماذا تفعل لو أنها فى موضعه ؟!

إنه يعلم أنها فى مكان ما فى (بوليفيا) ، ولكنه يجهل هذا المكان بالتحديد ، فما الذى ينبغى أن يفعله ؟!

إما أن يسعى لجمع المعلومات ، بحثًا عنها ..

أو يتعقَّب أحد رجالها إلى وكرها ..

ولا بد أن نغلق البابين ..

وبإحكام شديد ..

وفى حركة عصبية سريعة ، التقطت هاتفًا خاصًا آخر ، وطلبت رقمًا خاصًا ، ثم قالت ، فور سماعها صوت محدِّثها :

- إنه أنا يا (نواريه) .. السنيورا .

وانعقد حاجباها فى غضب ، وهى تقول فى حدة :

- نعم .. أعلم كم الساعة الآن ، وأعلم أيضًا أنك أحد الأوغاد ، الذين يأوون إلى فراشهم مبكرًا ، ولكن المبلغ الذى تتقاضاه منى شهريًا ، يكفى لإيقاظك فى أية لحظة أشاء ، مادمت أحتاج إلى خدماتك .

انزعج (فيليب نواريه) ، محافظ (سوكريه) عاصمة (بوليفيا) ، من أسلوبها الحاد ، فاعتدل جالسًا ، وهو يقول فى توتر :

- حسن .. حسن يا سنيورا .. إننى رهن إشارتك .

أجابته فى صرامة :

- هذا أفضل كثيرًا يا (نواريه) .. والآن اسمعنى جيدًا ، ونفذ ما سأخبرك به بمنتهى الدقة ، ودون أدنى مناقشة .

استمع إليها الرجل فى انتباه وتوتر شديدين ، وهى تملى عليه أوامرها ، حتى أفرغت كل ما لديها ، فقال فى اضطراب :

- سنيورا .. أعلم أننى أدين لك بالكثير ، ولكن ما تطلبينه مستحيل فى الوقت الحالى ، و ...

قاطعته فى حدة صارمة :

- نفذ ما أمرتك به يا (نواريه) ، فالأمر لا يحتمل مجرَّد النقاش هذه المرة .

اضطرب الرجل أكثر ، وهو يقول :

- ولكن يا سنيورا .

صرخت فيه ثائرة :

- نفذ ما أمرتك به أيها الوغد .

وأنهت المحادثة فى عنف ، وهى تشعل سيجارة أخرى ، دون أن تنتبه إلى أن سيجلوتها ما زالت

مشتعلة فى المنفضة بالفعل ، قائلة فى حنق :

- فلتذهب إلى الجحيم .

كانت واثقة ، على الرغم من غضبها ، من أنه لن يجرؤ على عصيان أوامرها ، وأنه سينفذ كل ما أمرته به ..

وبمنتهى الدقة ..

لذا ، فقد انتقلت على الفور إلى الخطوة التالية ، وطلبت رقم (دونيو) ، فى (ريو دى جانيرو) ، ولم تكد تسمع صوته حتى قالت فى صرامة :

- أنا السنيورا يا (دونيو) .

ارتجف الرجل على الرغم منه ، وهو يقول :

- أوامرك يا سنيورا .. إننى أتابع الموقف عن كثب ، و ...

قاطعته صارمة :

- اسمعنى جيدًا يا (دونيو) ، ونفذ كل ما آمرك به ، وبأقصى سرعة ممكنة .. هل تفهم .. أقصى سرعة ممكنة يا (دونيو) .

أجابها (دونيو) بمنتهى الاهتمام والانتباه :

- أنا رهن إشارتك يا سنيورا .

راحت تلقى إليه أوامرها ، وهو يستمع إليها مبهوتًا ، وقد اتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يدرك ، فى هذه اللحظة بالذات ، أنه يعمل لحساب امرأة من طراز مخيف ..

امرأة لا تعرف معنى الرحمة ..

مطلقًا ..

* * *

لم يكد الأمر يتحول إلى حرب طاحنة ، فى تلك المنطقة النائية ، عند طاحونة قطار الشمال ، وينطلق (أندروفيتشى) هاربًا بإحدى السيارات الثلاثة ، حتى اندفع (أدهم) نحو (قدرى) و (منى) ، وجذبهما خارج دائرة القتال ، وهو يقول فى حزم :

- دعونا نبتعد عن هنا .

هتف (قدرى) مذعورًا :

- إنها .. إنها مذبحة .

أجابه (أدهم) فى صرامة :

- (أندروفيتشى) الوغد هو الذى أشعل تلك المعركة ، ولن يعنيه كم يزهق من الأرواح ، حتى ينجو بحياته .

ثم التفت إلى (منى) ، مستطردًا بلهجة آمرة :

- (جيهان) و (بترو) سينضمان إليكما بعد لحظات .. لقد استأجرت طائرة خاصة ، فى مطار قريب ، يعرف (بترو) الطريق إليه جيدًا .. انتظرونى هناك لنصف ساعة أخرى ، فإن لم أصل فى الموعد بالضبط ، أقلعوا بالطائرة إلى (سوكريه) .

سألته متوترة :

- إلى أين ستذهب ؟!

أجاب فى صرامة :

- خلف ذلك الوغد الروسى .

تشبثت به ، قائلة :

- ولكن لماذا ؟! لقد حصلنا منه على كل ما نبتغى .

هزّ رأسه فى قوة ، مجيبًا :

- ليس بعد .. إنه يعرف مكان السنيورا بالضبط ، وربما يقودنا إليها ، وهذا سيوفر لنا وقتًا ثمينًا .

قالت فى قلق بالغ :

- ولكن يا (أدهم) ..

قاطعها فى صرامة شديدة :

- نفذى الأوامر .

ثم أزاح يدها ، وانطلق يعدو نحو إحدى السيارتين المتبقيتين ، وهو يهتف بالعربية :

- (قدرى) .. سنحتاج إلى جوازات سفر جديدة .

تهللت أسارير (قدرى) وهو يهتف فى حماس :

- ستحصل عليها بإذن الله .

قفز (أدهم) داخل السيارة ، وانطلق بها بأقصى سرعة ، وهو يعيد دراسة الأمر فى ذهنه جيدًا ..

الآن يعرف أن السنيورا فى (بوليفيا) ..

ولكن أين بالتحديد ؟!

أين ؟!

أين ؟!

من المؤكد أنها لن تصنع مفاعلها الذرى فى إحدى المدن أو القرى ..

أو فى أى مكان يمكن رصده بالأعين ..

أو حتى بالأقمار الصناعية ..

وهذا يعنى أنه ليس أمامها سوى منطقة الجبال ..

وهى منطقة هائلة وشاسعة للغاية فى (بوليفيا) ..

والتوصل إلى وكرها لن يكون سهلاً أبدًا ..

وسيحتاج إلى وقت طويل ..

طويل للغاية ..

ومن المؤكد أنهم لا يمتلكون كل هذا الوقت ..

إذن فمن المحتم أن تكون هناك وسيلة لتحديد موقعها ، على نحو أكثر دقة ..

وأفضل وسيلة ، فى الوقت الحالى ، هى (أندروفيتشى) نفسه ..

توقفت سيارته مع أفكاره ، عندما لمح السيارة ، التى فرّ بها الروسى ، خالية ، عند مشارف المدينة ، فقفز من سيارته بدوره ، وهو يتمتم :

- أمر طبيعى أن تتوقف سيارتك هنا ، أيها الوغد الروسى ، فحتى الدراجات لا يمكنها أن تشقّ طريقها وسط هذا المهرجان .

قالها ، وراح يشق طريقه وسط الزحام الرهيب ، فى طريقه إلى الهدف الوحيد ، الذى سيتجه إليه (أندروفيتشى) حتمًا ، فى مثل هذه الظروف ..

إلى الفندق ..

وبينما يشقّ (أدهم) طريقه إلى الفندق ، كان (أندروفيتشى) قد وصل إليه ، وأسرع إلى حجرته فى الطابق الثالث ، ولم يكد يبلغها ، حتى وجد

(كوادروس) فى انتظاره ، وقد تورّم أنفه على نحو عجيب ، فهتف به :

- أسرع يا (كوادروس) .. (أدهم صبرى) سيتبعنى إلى هنا حتمًا .. اجمع رجالنا ، وأنعش من فقد الوعى منهم ، وليستعد الجميع لمواجهته ، و ...

قاطعه (كوادروس) بصوته الأجش الغليظ :

- لا يمكننى إنعاش أحد أيها القائد .. الجميع لقوا مصرعهم .

انعقد حاجبا (أندروفيتشى) فى شدة ، وهو يقول :

- لقوا مصرعهم ؟! ماذا تعنى يا رجل ؟! (أدهم) لم يقتل كل رجالنا .

أجابه (كوادروس) فى غلظة :

- شخص آخر قتلهم جميعًا .

تحفزت كل خلية فى جسد (أندروفيتشى) ، وهو يقول :

- شخص آخر ؟! ومن هذا الشخص ؟!

ارتفعت فوهة مسدس (كوادروس) نحوه بسرعة ، وهذا الأخير يجيب بكل غلظته وخشونته الفظة :

- أنـا .

وثب (أندروفيتشى) جانبًا فى سرعة ، متفاديًا الرصاصة ، التى أطلقها (كوادروس) نحوه ، ثم انقضَ على هذا الأخير هاتفًا فى غضب :

- أيها الخائن الحقير .

استقبل (كوادروس) انقضاضته بكل قوته ، ولكمه فى أنفه ، هاتفًا :

- أنا لست خائنًا .. إننى أنفذ أوامر السنيورا .

تفجَّر الذهول فى أعماق (أندروفيتشى) ، وهو يلكمه فى معدته ، قائلاً :

- السنيورا ؟! تلك اللعينة أمرتك بقتلى ؟!

ثم أعقب لكمته بأخرى ، فى أنف (كوادروس) المتورِّم ، مستطردًا فى غضب :

- تلك القذرة خانتنى ؟!

تراجع (كوادروس) مع اللكمتين ، ثم رفع مسدسه مرة أخرى نحو الروسى ، صائحًا :

- السنيورا أمرت بتصفية الجميع .

وأطلق رصاصته ، مردفًا :

- كل من يعرف موقع وكرها .

قفز (أندروفيتشى) جانبًا ، محاولاً تفادى الرصاصة الثانية ، ولكنه شعر بها تتفجَّر فى ذراعه ، فانقضَ مرة أخرى على (كوادروس) ، وقفز يركل مسدسه بعيدًا ، وهو يهتف :

- هذا يشملك أيضًا أيها الغبى .

وثب (كوادروس) ، محاولاً استعادة مسدسه ، ولكن رجل المخابرات السوفيتى السابق دار حول نفسه فى رشاقة ، على الرغم من إصابته ، ثم أحاط عنق (كوادروس) بذراعه السليمة ، مستطردًا :

- أنت أيضًا تعرف موقع وكرها ، ومادامت قد انتهجت سياسة التصفية هذه ، فهى لن تترك أحدًا أيها الغبى .

شعر (كوادروس) بالضغط الشديد على عنقه ، وجحظت عيناه ، وهو يقاتل للتخلُّص من تلك الذراع الفولاذية ، التى تسد طريق الهواء ، الذى يجاهد لدفعه إلى رئتيه ، وحاول أن يدير ذراعيه خلف ظهره ، أو يضرب بقدميه إلى الخلف ، ولكن (أندروفيتشى) ، رجل المخابرات السوفيتى ، أمال جسده فى خبرة ، وباعد ما بين ساقيه ، ليمنع (كوادروس) من التقاط

أى جزء من جسده ، وهو يضغط عنقه أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وتزايد جحوظ عينى (كوادروس) ، حتى كادتا تثبان من محجريهما ، وصدر منه صوت عجيب مخيف ، وهو يختنق ..

ويختنق ..

ويختنق ..

و ...

وفجأة ،دوت رصاصة ..

وانتفض جسد (أندروفيتشى) فى عنف ، وجحظت عيناه عن آخرهما ، وأطلّ منهما مزيج من الدهشة والألم والغضب ، وتفجَّر نبع من الدم ، من أسفل كتفه الأيسر ، فى موضع القلب تمامًا ، وهو يتمتم :

ـ اللعنة !

ثم تراخت ذراعه من حول عنق (كوادروس) ، وهوى عند قدميه جثة هامدة ..

وسعل (كوادروس) فى شدة ، وهو يتحسَّس عنقه بكفيه فى عصبية ، ويلتفت إلى (دونيو) ، قائلاً فى توتر :

ـ لقد وصلت فى الوقت المناسب يا رجل .. الروسى كاد يقتلنى ، و ...

انتبه فجأة إلى أن مسدس (دونيو) مازال مصوبًا إليه ، فقال فى عصبية :

ـ اخفض فوهة مسدسك يا رجل .. ربما انطلقت منه رصاصة عفوًا .

أجابه (دونيو) فى صرامة :

ـ أو عمدًا .

قالها ، وضغط زناد المسدس ..

وتفجَّرت الرصاصة فى رأس (كوادروس) ، الذى أطلق شهقة قوية ، ثم هوى جثة هامدة ، دون أن ينبس ببنت شفة ..

وفى توتر ، أعاد (دونيو) مسدسه إلى غمده ، وانطلق مبتعدًا فى خطوات سريعة ، ليهبط إلى الطابق الأرضى ، ويختفى وسط رواد الحفل ..

ولم تمض دقيقة واحدة على انصرافه ، حتى بلغ (أدهم) المكان ، ووقع بصره على جثتى (أندروفيتشى) و (كوادروس) ، فتمتم فى حنق :

ـ تلك اللعينة تحركت بسرعة مدهشة .

ثم استدار ليغادر المكان بأقصى سرعة ، ليلحق برفاقه فى المطار ، و ...

« إياك أن تتحرك .. »

انطلق الهتاف فجأة ، من ناحية المصعد ، فالتفت إليه (أدهم) فى سرعة ، ثم انعقد حاجباه فى شدة ..

فهناك .. فى ذلك الموضع بالتحديد ، برز المفتش (أورتيجا) من المصعد ، وخلفه خمسة من رجاله ، والجميع فى حالة مزرية ، والشر يطل من عيونهم ، مع تحفز عصبى واضح ، وفوهات مدافعهم الآلية مصوبة إليه ، وكل ما تحتاج إليه هو ضغطة ..

ضغطة واحدة على أزندة المدافع ، فتنطلق الرصاصات ، و ...

وينتهى كل شىء ..

كل شىء ..

★ ★ ★

« السنيورا فى (بوليفيا) أيها السادة .. »

نطق مدير المخابرات هذه العبارة فى حزم ، وهو يدلف إلى حجرة الاجتماعات ، التى عاد إليها الجميع ، بعد أن غادروها منذ أقل من نصف الساعة ، فالتفت

إليه الجميع فى إرهاق واضح ، لم يمنع أحدهم من أن يهتف فى حماس :

- هل توصل سيادة العميد (أدهم) إلى هذا يا سيدى ؟!

أومأ المدير برأسه إيجابًا ، وهو يحتل مقعده ، على رأس المائدة ، قائلا :

- (جيهان) أرسلت برقية شفرية عاجلة ، تخبرنا فيها بالأمر ، وبأنها و (منى) و (قدرى) و(بترو) ينتظرون (أدهم) الآن ، للإقلاع فورًا إلى (سوكريه) ، عاصمة (بوليفيا) .

بدت الدهشة على وجوههم ، وترجمها أحدهم إلى كلمات ، وهو يسأل فى حيرة :

- من (بترو) هذا ؟!

انعقد حاجبا المدير ، وهو يجيب :

- رسالة (جيهان) لم توضح الأمر جيدًا ، وكل ما قالته هو أنه صديق مفيد جدًا ، وأن (ن - ١) يثق به تمامًا .

ثم لوح بيده ، مستطردًا فى صرامة :

- ولكن هذه ليست مشكلتنا الرئيسية فى الوقت

الحالى .. المهم أن نحدِّد موقع السنيورا فى (بوليفيا) .

أشار أحدهم بيده ، قائلا :

- (بوليفيا) دولة حبيسة ، بها الكثير من سلاسل الجبال والوديان ، وهى غنية بمعادنها ، وبها عدد كبير من المناجم ، المنتشرة فى كل مكان ، وأعتقد أن أفضل مكان تصنع فيه السنيورا مفاعلها النووى ، هو وديان الجبال ، البعيدة عن مناطق المناجم .

أومأ المدير برأسه موافقًا ، وهو يقول :

- رأى جيِّد ومنطقى للغاية ..

ثم التقط سمَّاعة الهاتف الداخلى الموضوع أمامه ، وطلب رقمًا خاصًّا ، ثم قال :

- أريد خريطة كبيرة لـ (بوليفيا) فى حجرة الاجتماعات الرئيسية فورًا .

لم تمض دقيقة واحدة ، حتى كانت الخريطة الكبيرة معلَّقة على الجدار ، والرجال ينهمكون فى فحصها ، ويراجعون تضاريس السطح فى (بوليفيا) ، ثم قال أحدهم فى ضيق :

- الأمر عسير للغاية بالفعل ، فكل مكان هنا يصلح ، ولا يصلح لبناء ذلك المفاعل الذرى .

وقال آخر :

- الأمر يحتاج إلى خبير .

اعتدل المدير ، وهو يقول فى حزم :

- بالتأكيد .

والتقط سمَّاعة الهاتف الخاص مرة أخرى ، مستطردًا فى صرامة :

- الأمر يحتاج بالفعل إلى خبير .

قالها ، وأجرى اتصالاً قصيرًا ، لم تمض عليه دقائق محدودة ، لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة ، حتى كان أحدهم يوقظ الدكتور (محمد العفيفى) من نومه ، فهبَّ من فراشه مذعورًا ، وهو يقول :

- ماذا حدث بالضبط ؟!

أجابه الرجل الذى أيقظه ، فى لهجة تشفّ عن أهمية وخطورة الأمر :

- إنهم يطلبونك ، فى حجرة الاجتماعات الرئيسية .

لم يكد الدكتور (محمد) يسمع هذا ، حتى قفز من فراشه ، وانطلق على الفور إلى حجرة الاجتماعات ، حتى إنه لم يرتد منظاره ، إلا وهو يدلف إلى الحجرة ، قائلا فى لهفة :

- هل استجدّ جديد أيها السادة .

أشار إليه المدير ، قائلا :

- اجلس يا دكتور (محمد) .. نريد استشارتك فى أمر بالغ الأهمية .

أجابه الرجل فى حماس :

- أنا رهن إشارتكم أيها السادة .

أشار المدير إلى خريطة (بوليفيا) ، قائلا :

- فى أى مكان هنا ، يمكن بناء مفاعل نووى .

حدّق الدكتور (محمد) لحظة فى الخريطة ، قبل أن يهزّ رأسه ، مغمغمًا :

- معذرة أيها السادة ، ولكن بالنسبة للجغرافيا ، فلم يمكننى التفوّق فيها قط ، طوال فترة دراستى ، و ...

قاطعه المدير فى صرامة :

- حاول يا دكتور (محمد) .. حاول .. ابذل المزيد من الجهد ، فجواب هذا السؤال قد يعنى مصير العالم كله .

تطلّع الدكتور (محمد العفيفى) مرة أخرى فى الخريطة ، ثم عاد يهزّ رأسه ، قائلا :

- لا أريد خداعكم أيها السادة .. إننى أجهل بالفعل كل شىء عن الخرائط ، والتضاريس ، والجغرافيا كلها .

تبادل الرجال نظرة متوترة للغاية ، ثم التقط المدير سمّاعة الهاتف مرة أخرى ، وقال فى صرامة :

- صلنى بقسم برامج الكمبيوتر .

وانتظر لحظة ، ثم قال فى حزم :

- أخبرنى يا رجل .. هل يمكننا الحصول على برنامج ثلاثى الأبعاد للتضاريس الجغرافية .. نعم .. أريد مراجعة مجسّمة لتضاريس (بوليفيا) .

وصمت بضع لحظات ، قبل أن يقول :

- عظيم .. متى يمكننا استخدامه ؟!

وانتظر قليلاً ، ثم قال فى حزم :

- فليكن .. سننتظر .

ثم رفع عينيه إلى الدكتور (محمد العفيفى) ، وهو ينهى الاتصال ، وقال :

- بعد ساعة واحدة من الآن ، ستجد أمامك خريطة مجسّمة ، ثلاثية الأبعاد ، لدولة (بوليفيا) .. أريد أن تدرسها جيدًا ، وتفحص كل شبر منها ؛ لتخبرنا بعدها ، ما الموقع الأمثل لبناء مفاعل نووى .



وهو يصوِّب مدفعه الآلى نحو (أدهم) ، الذى شدَّ قامته فى اعتداد ..

ومال نحوه ، مستطردًا فى صرامة :

ـ وتذكر جيدًا يا دكتور (محمد) .. قرارك الأخير قد يعنى مصير العالم .. العالم كله .

أومأ الدكتور (محمد العفيفى) برأسه إيجابًا فى شحوب ، وهو يزدرد لعابه فى صعوبة ، وقد شعر بأن المسئولية الملقاة على عاتقه ثقيلة ..

ثقيلة ..

بلا حدود ..

★ ★ ★

« أين ذلك الشريط المسجَّل ؟! »

نطق المفتش (أورتيجا) العبارة ، وكل خلية من جسده ترتجف ، من فرط الغضب والتوتر والانفعال ، وهو يصوِّب مدفعه الآلى نحو (أدهم) ، الذى شدَّ قامته فى اعتداد ، وقال فى هدوء :

ـ إذن فقد نجوت مع رجالك أيها المفتش .

صاح به (أورتيجا) :

ـ لا شأن لك بهذا .. أخبرنى أين الشريط ؟!

صمت (أدهم) لحظة ، درس عقله خلالها الموقف كله ، فى سرعة مدهشة ، قبل أن يجيب بنفس الهدوء :

- أخبرتك أن أحد أصدقائى يحتفظ به ، حتى ...

قاطعه (أورتيجا) بكل انفعاله :

- أين صديقك هذا ؟!

هزَّ (أدهم) كتفيه ، قائلا :

- أنت تعلم أنه لا يمكننى أن أخبرك ، فسوف ..

قاطعه فى ثورة كاملة :

- أخبرنى أين صديقك ، أو أنسف رأسك الآن .

انعقد حاجبا (أدهم) ، وهو يقول فى صرامة :

- ومن أدرانى أنك لن تنسف رأسى على أية حال ؟!

لوَّح (أورتيجا) بمدفعه ، مجيبًا فى حدة بالغة :

- ليس لك سوى كلمتى .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة قصيرة ، قبل أن يقول :

- كلمتك ؟! هل تعتقد أنه بإمكانك أن تثق بكلمتى وحدها ، لو تبادلنا الأدوار ؟!

انقلبت سحنة (أورتيجا) على نحو مخيف ، وهو يقول فى غضب :

- اسمعْ أيها المصرى .. لست مستعدًا لإضاعة دقيقة واحدة أخرى ، فى هذا الموقف ، فبوجود

الشريط معك ، لا يعود لدى ما أخسره ، ولن يضيرنى أن أتمادى أكثر وأكثر ، فأنسف رأسك الآن ، وألقى جثتك فى مكتب قائد الشرطة نفسه ، لو أننى فقدت الأمل فى استعادته ، وفى الظروف الحالية ، لا يمكننى أن أمنحك سوى كلمتى .. دعنى أستعد الشريط ، وسأسمح لك بمغادرة (ريو) نهائيًا .

صمت (أدهم) لحظة ، وكأنه يدرس الأمر فى ذهنه ، ثم لم يلبث أن تنهَّد ، قائلا :

- لا بأس أيها المفتش .. يبدو أنه ليس أمامى سوى أن أثق بكلمتك الآن .

ثم تحرَّك نحو المصعد ، مستطردًا :

- هيا بنا .

تحفَّزت المدافع الآلية كلها ، و (أورتيجا) يقول له فى عصبية :

- قف مكانك ، وإلا أطلقنا النار دون إنذار .

توقَّف (أدهم) ، قائلا :

- كيف ستحصل على الشريط إذن ؟!

لوَّح المفتش بمدفعه فى وجهه ثانية ، وهو يقول فى صرامة عصبية :

- لا شأن لك بهذا .. أعطنا عنوانه فحسب ، وسنستعيد نحن الشريط منه .

قلب (أدهم) كفيه ، قائلا :

- هنا تكمن المشكلة .

سأله (أورتيجا) فى حدة :

- أية مشكلة ؟!

أجابه (أدهم) فى سرعة :

- المشكلة أنها زيارتى الأولى لـ (ريو) ، ولست أحفظ أسماء طرقاتها وشوارعها .. فقط يمكننى أن أقودك إلى العنوان .

انعقد حاجبا (أورتيجا) فى شدة ، وهو يقول :

- لا يا رجل .. لن نمنحك أية فرصة للخداع هذه المرة .. صف لنا المكان ، وسنذهب إليه وحدنا .

هزَّ (أدهم) رأسه ، قائلا :

- هنا ستواجه المشكلة الثانية ، فصديقى ، الذى يحتفظ بالشريط ، أحد المتمتعين بالحصانة الدبلوماسية هنا ، وما لم يرنى شخصيًا ، لن يسمح لكم حتى بمقابلته .. وأنت تعلم مشكلة التعامل بعنف مع الدبلوماسيين ، وخاصة مع وجود حراسة خاصة على منازلهم .

ازداد انعقاد حاجبى (أورتيجا) أكثر وأكثر ، حتى بدا مظهره مضحكًا ، وهو يتطلَّع إلى (أدهم) فى شك ، قبل أن يقول فى حدة :

- أكاد أقسم إنها محاولة خداع أخرى .

ألقى (أدهم) نظرة على ساعته ، وهو يقول :

- هذا شأنك أيها المفتش ، ولكن الوقت يمضى فى سرعة ، وصديقى لا يبقى فى مكتبه طوال الليل .

نطق (أدهم) العبارة ، وهو يدرك بالفعل أن الوقت يمضى فى سرعة ..

لم يتبق أمامه سوى اثنتى عشرة دقيقة ، قبل أن تقلع الطائرة الخاصة إلى (سوكريه) ..

وأوامره للجميع صارمة للغاية ..

لا بد أن تقلع الطائرة فى موعدها بالضبط ..

مهما كانت الأسباب ..

هذا لأنه يعلم أن دورية مراقبة المطارات الخاصة ستصل إلى ذلك المطار ، بعد سبع دقائق بالضبط ، من إقلاع الطائرة ..

ومن الخطر - كل الخطر - أن تصل تلك الدورية ، قبل إقلاع الطائرة ..

أو أن تلمح حتى إقلاعها من بعيد ..

ففى هذه الحالة يتم إبلاغ قيادة الطيران ، ووحدات الدفاع الجوى ..

وتنطلق المقاتلات خلف الطائرة ..

أو تنطلق نحوها صواريخ وحدات الدفاع الجوى ..

وهذا يعنى النهاية ..

نهاية الطائرة ..

والمهمة ..

ويعنى أيضًا أن مشروع السنيورا النووى سيواصل تقدَمه ..

وسيكتمل ..

وتخرج القنابل الذرية للوجود ..

ويخسر العالم أمنه ..

واقتصاده ..

وحريته ..

دارت كل تلك الأفكار فى رأسه ، فى لحظة واحدة ، قبل أن يقول فى صرامة :

- هيا .. احسم أمرك أيها المفتش ، فليس أمامنا الليل كله .

رمقه (أورتيجا) بنظرة شك طويلة ، ثم قال فى عصبية :

- اسمع يا هذا .. لقد رأيت ما تفعله ، وأدرك جيدًا أنك أكثر خبثًا ومكرًا من الثعالب ، وأكثر قوة من الأسود ، ولكننى لن أسمح لك بخداعى هذه المرة .. ولتعلم أن رجالى يسدون كل مداخل ومخارج الفندق ، فى هذه اللحظة ، ولو حاولت الفرار ، فلن تجد نافذة واحدة ، يمكنك القفز عبرها .. وإذا ما بدرت منك بادرة واحدة للخداع ، سأطلق النار عليك بلا رحمة .. هل تفهم .

هزَّ (أدهم) كتفيه ، قائلا :

- بالتأكيد .

انتزع (أورتيجا) أغلالاً معدنية من حزامه ، وألقى بها إلى أحد رجاله ، قائلا :

- قيِّد معصميه خلف ظهره .

التقط الرجل الأغلال المعدنية ، واتجه نحو (أدهم) فى صرامة ، وأدار ذراعيه خلف ظهره ، وأحاط معصميه بالأغلال الفولاذية ، والباقون يصوبون إليه مدافعهم الآلية فى تحفز شديد .

ثم أشار إليه (أورتيجا) بمدفعه ، قائلا فى صرامة :

ـ تقدَّم إلى المصعد ، وحذار من أية محاولة للخداع .. هل تفهم ؟!

أطاعه (أدهم) فى استسلام عجيب ، وتقدَّم نحو المصعد ، و ...

وفجأة ، دار (أدهم) حول نفسه ، وقفز يركل المفتش (أورتيجا) فى وجهه ، هاتفًا فى سخرية :

ـ نعم .. أفهم أيها الوغد .

تراجع (أورتيجا) إثر الركلة فى عنف ، وارتطم برجاله فى قوة ، فى نفس اللحظة التى وثب فيها (أدهم) ثانية ، وضغط زر الطابق الأرضى بطرف حذائه ، فى مهارة مدهشة ، ثم تراجع فى سرعة ، ليلتصق بالجدار الجانبى للمصعد ، الذى تحركَت ضلفتا بابه لتلتقيا فى منتصفه ..

وانطلقت رصاصات (أورتيجا) ورجاله نحو المصعد ، وهو يصرخ :

ـ إنه مخادع .. اقتلوه ..

أصابت الرصاصات ضلفتى الباب ، وجدار المصعد

الداخلى ، و (أدهم) يلتصق أكثر وأكثر بالجدار الجانبى ، محتميًا بإحدى الضلفتين ، حتى التقتا ، وبدأ المصعد رحلة الهبوط ..

وصرخ (أورتيجا) :

ـ اللعنة ! لا يمكن أن نسمح له بالفرار .

وارتفعت عيناه تتطلَّعان إلى الأرقام المضيئة ، أعلى المصعد ، والتى تشير إلى أنه فى طريقه إلى الطابق الأرضى ، ثم انتزع جهاز اللاسلكى من حزامه ، وهتف عبره :

ـ العدو يهبط بالمصعد إلى الطابق الأرضى .. استقبلوه برصاصاتكم .

وصرخ بكل انفعاله :

ـ أريده جثة هامدة ممزَّقة .. لا أريد لأمه حتى أن تتعرَّفه .

تلقَّى رجاله الرسالة ، فى الطابق الأرضى للفندق ، فأشهروا أسلحتهم ، واندفعوا وسط الحشود المحتفلة بالمهرجان ، وهم يصرخون :

ـ ابتعدوا .. احتموا .. هناك مجرم خطير طليق .. ابتعدوا ..

أثار ظهورهم المفاجئ موجة ذعر هائلة في المكان ، فصرخ الجميع ، وانطلقوا يعدون في كل مكان ، ويتخبطون ببعضهم ، في حين واصل رجال (أورتيجا) اندفاعهم نحو المصعد ، الذى أشارت أرقامه المتألقة إلى أنه سيبلغ الطابق الأرضى بعد لحظة واحدة ، في حين صاح (أورتيجا) في رجاله ، في الطابق الثالث :

- فليسرع اثنان منكم إلى الطابق الرابع .. لقد شاهدت ذلك المصرى يؤدى خدعة فيما قبل ، ويهرب إلى الطابق الذى يعلو المصعد .

أسرع اثنان من رجاله إلى الطابق الرابع ، وهما يحملان مدفعيهما الآليين ، في الوقت الذى تطلَّع فيه المفتش إلى جثتى (أندروفيتشى) و (كوادروس) ، قائلا في عصبية :

- لقد رأيته يخدعكما من قبل ، ولن أسمح له بتكرار هذا معى أبدًا .. إنه مقيَّد المعصمين خلف ظهره هذه المرة ..

ومع آخر حروف كلماته ، وصل المصعد بالفعل إلى الطابق الأرضى ، وانفتحت ضلفتا بابه ، و ...

ودون إضاعة جزء من الثانية ، أطلق رجال (أورتيجا) رصاصاتهم في كل شبر في المصعد ..

كل شبر ..

بلا استثناء .





٧ - هروب ..

قطع رجل المخابرات الأمريكى (جون ماكلوسكى) ذلك الممر الطويل ، فى مبنى المخابرات الأمريكى فى (واشنطن)(*) ، حتى بلغ حجرة رئيسه المباشر ، فدقّ الباب ثلاث مرات ، ثم دفع الباب ، دون أن يتلقّى ردًّا على دقّاته ، واندفع إلى الحجرة ، قائلاً فى حماس :

- (الأرجنتين) أو (بوليفيا) .

حدّق رئيسه فيه بدهشة ، ثم لملم بعض الأوراق عن مكتبه فى سرعة ، وقال فى عصبية وغضب ، وهو يلقى تلك الأوراق ، داخل أحد أدراج المكتب :

- (ماكلوسكى) .. لابد أن أسمح لك بالدخول

(*) يوجد المقر الرئيسى للمخابرات المركزية الأمريكية (CIA) فى (لانجلى) بولاية (فرجينيا) ، وهو مقر هائل الحجم ، سداسى الأضلاع ، مقام على عدة مئات من الأفدنة ، ولكن يوجد مبنى فرعى فى كل ولاية من الولايات الأمريكية تقريبًا .

أولاً ، قبل أن تدخل هذه الحجرة .. إنها القواعد .. هل نسيت ما تعلّمته ؟!

تجاهل (ماكلوسكى) هذا القول ، وكأنه لا يعنيه قط ، وهو يتابع :

- لقد توصّلنا إلى أن تلك السنيورا تختبئ فى (الأرجنتين) أو (بوليفيا) .

احتقن وجه رئيسه لحظة ، ثم لم يلبث أن سأله فى فضول :

- ولماذا (الأرجنتين) أو (بوليفيا) بالتحديد ؟!

أشار (ماكلوسكى) إلى رأسه ، وهو يقول فى زهو :

- لأننى استخدمت عبقريتى المعهودة .

ثم أشعل سيجارته ، وألقى جسده على أقرب مقعد إليه ، مستطردًا :

- لقد فشلنا تمامًا فى معرفة أى معلومات ، حول الأشخاص ، الذين تلقّوا الشحنة ، التى تحوى مشروع (السوبرمان) ، بعد أن غادروا مكاتبهم ، ولكننا كنا نعلم منذ البداية ، أن تلك السنيورا تختفى فى مكان ما ، من (أمريكا) الجنوبية ، وهذا يعنى أن الشحنة

سيعاد شحنها إلى مقرّها ، وهذا يعنى أن كل ما علينا هو معرفة المكان ، الذى يتم شحنها إليه .

انعقد حاجبا رئيسه ، وهو يقول فى صرامة :

- هل تعلم كم طردًا يتم شحنه وإرساله إلى (أمريكا) الجنوبية يوميًا .. بل فى كل ساعة ؟!

أشار (ماكلوسكى) بسبّابته ، وهو ينفث دخان سيجارته ، قائلاً :

- آلاف .

ثم اعتدل ، مستطردًا فى حزم ، وهو يشير إلى رأسه مرة أخرى :

- وهنا تكمن العبقرية ..

ونهض من مقعده ثانية ، وهو يتابع :

- ولقد أعدت استجواب ذلك الوغد (كاندى) ، وعرفت منه نوع الصندوق ، الذى تم شحن مشروع (السوبرمان) فيه ، ثم استعنت بخبير شحن ، لمعرفة الوزن التقريبى لذلك الصندوق ، وبعدها حصلت من سجلات الأسلحة السرية على وزن زى مشروع (السوبرمان) ، وبإضافة وزن الصندوق إلى وزن الزى ، أمكننى معرفة وزن الشحنة وحجمها تقريبًا .

وتحرّك فى الحجرة ، وهو ينفث دخان سيجارته ثانية ، مستطردًا :

- وهكذا لم يعد أمامنا سوى فحص سجلات الشحن ، لمعرفة الطرود ، التى لها نفس الحجم والوزن تقريبًا ، والتى تم شحنها إلى (أمريكا) الجنوبية ، خلال الساعات الأربع السابقة .

بدت اللهفة على وجه رئيسه ، وأطلّت من صوته واضحة ، وهو يسأله :

- وما الذى توصّلت إليه ؟!

أشار (ماكلوسكى) بيده ، مجيبًا :

- ثلاثة طرود فحسب ، تحمل المواصفات المطلوبة .. اثنان تم شحنهما إلى (الأرجنتين) ، والثانى إلى (بوليفيا) .

تراجع رئيسه فى مقعده فى بطء ، والتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يقول :

- فكرة عبقرية يا (ماكلوسكى) .. عبقرية بحق .

ثم التقط سمّاعة هاتفه ، وهو يستطرد فى حماس :

- سأبلغ الرؤساء على الفور ، حتى يتولّى مكتبنا فى (الأرجنتين) و (بوليفيا) الأمر ، و ...

قاطعه (ماكلوسكى) فى حزم :

- يكفى مكتب (الأرجنتين) .

توقف رئيسه عن إتمام الاتصال ، وهو يسأله فى حذر :

- ماذا تعنى ؟!

صمت (ماكلوسكى) بضع لحظات ، وهو ينفث دخان سيجارته فى قوة ، قبل أن يجيب فى لهجة حاسمة :

- سأتولى بنفسى عملية (بوليفيا) .

التقى حاجبا رئيسه ، وهو يسأل :

- ولماذا (بوليفيا) بالتحديد ؟!

لم يجب (ماكلوسكى) على الفور ، وإنما راح ينفث دخان سيجارته بضع لحظات أخرى ، قبل أن يسحقها فى المنفضة ، مجيبًا :

- شىء لا يمكن تحديده أيها الرئيس .. شعور قوى ، يتغلغل فى أعماقك ، مع الزمن والعمل والخبرة ، حتى لتؤمن به إيمانًا يفوق إيمانك بالأدلة والبراهين .. غريزة ، تولد فى داخلك ، مع مواجهاتك المتتالية للخطر والغموض ..

وتنهد فى عمق ، ثم أشعل سيجارة أخرى ، قبل أن يضيف :

- أعلم جيدًا أن احتمال وجود السنيورا فى (الأرجنتين) ، يفوق احتمال وجودها فى (بوليفيا) بمرتين على الأقل ، نظرًا لوجود طردين فى طريقهما إلى الأولى ، مقابل طرد واحد فى طريقه إلى الثانية ، ولكن ذلك الشعور فى أعماقى يؤكد لى أن العكس هو الصحيح ، وأنها ستتخذ من (بوليفيا) مقرًا ، وليس من (الأرجنتين) .

رمقه رئيسه بنظرة طويلة صامتة ، ثم تراجع فى مقعده ، وشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، وهو يقول :

- أعرف ذلك الشعور ، الذى تتحدث عنه يا (ماكلوسكى) ، وكلنا لدينا مثله ، وعندما كنت فى مثل عمرك ومنصبك ، كنت أتصور مثلك أنها غريزة ما ، تنمو مع الوقت والخبرة ، ولكن عندما مضى بى العمر ، وتبوأت هذا المنصب ، الذى يحتاج إلى التفكير ، بأكثر مما يحتاج إلى الحركة ، أصبح لدى الكثير من الوقت ، لدراسة الأمور وفلسفتها على نحو مختلف ، وهذا ما جعلنى أنتبه إلى أن الأمر ليس مجرد غريزة .. إنه فى الواقع تفاعل ما من العقل الباطن ، الذى أدرك حقائق وأدلة ، لم ينتبه إليها عقلك الواعى بعد .

نفث (ماكلوسكى) دخان سيجارته ، وهو يقول :

ـ ترى ما الذى تعنيه تلك المحاضرة الفلسفية بالضبط ؟!

تطلّع إليه رئيسه بضع لحظات فى صمت ، قبل أن يعتدل ، مجيبًا فى حزم :

ـ تعنى أننى أوافق يا (ماكلوسكى) .. ستتولّى بنفسك الشق الخاص بـ (بوليفيا) .. وعليك اختيار الفريق ، الذى سيعاونك هناك .

تألّقت عينا (ماكلوسكى) ، وهو يقول :

ـ عظيم .. عظيم بحق .

قالها ، وهو يشعر فى أعماقه أن عملية (بوليفيا) لن تكون عملية عادية ..

لن تكون كذلك أبدًا ..

★ ★ ★

لم تكد ضلفتا باب المصعد تلتقيان ، ويبدأ رحلته إلى أسفل ، حتى وثب (أدهم) داخله مرة أخرى ، وثنى ركبتيه ، حتى التصقتا بصدره تقريبًا ، فى نفس اللحظة التى مال فيها بجذعه إلى الأمام ، وخفض كتفيه ، ليحرّر القيد الفولاذى أسفل قدميه ، وينقله

من خلف ظهره إلى أمامه ، قبل أن يهبط مرة أخرى على قدميه ، فى رشاقة مدهشة ، ثم يثب ، دون أن يضيع لحظة واحدة ، ليدفع فتحة الطوارئ أعلى المصعد ، ويتعلّق بحافتها ، ثم يدفع جسده إلى أعلى ، ليمرّ عبرها إلى سطح المصعد ..

ثم كانت وثبته الثالثة ..

وفى تلك الوثبة ، تعلّق بكابلات الثقل المعادل للمصعد ، والتى تتحرّك دائمًا فى عكس اتجاه المصعد ..

وجذبته تلك الكابلات إلى أعلى ؛ بنفس سرعة هبوط المصعد ، ولنفس المسافة تقريبًا ، حتى بلغ الطابق السادس ، فى نفس اللحظة ، التى بلغ فيها المصعد نفسه الطابق الأرضى ..

وبينما انطلقت رصاصات رجال (أورتيجا) داخل المصعد ، كان (أدهم) يتأرجح ، ثم يقفز متعلقًا بكابلات المصعد الرئيسية ، ويتسلّقها بمعصميه المقيدين ، حتى أصبح أعلى من منسوب باب المصعد للطابق السادس ، وعندئذ تعلّق بكابل المصعد بساقيه فى قوة ، وترك نصفه العلوى يتدلّى إلى أسفل لتتعامل يداه مع الرتاج الكهربى أعلى باب المصعد ، حتى

انفتح البـاب وتحركت ضلفتـاه إلى الجانبين ، فتعلّق (أدهم) بحافتـه ، ثم أفلتت ساقاه كـابل المصعـد ، فـاندفع جسده يعبر البـاب ، ويسـقط داخـل الطـابق السـادس ، قبل أن تتحرك الضلفتـان ثانية ، لإغـلاق الباب ..

وكعادته ، لم يضع (أدهم) لحظـة واحدة ، ففور سقوطه داخل الطابق السادس ، هبّ واقفًا على قدميه ، وانطلق يعدو بأقصى سرعته نحو السلم ..

وفى نفس اللحظة تقريبًا ، كان أحد رجال (أورتيجا) يهتف ، عبر جهاز الاتصال اللاسلكى المحدود :

- الرجل ليس هنا أيها الرئيس .

تفجّر غضب جنونى ، فى كيان (أورتيجا) كلـه ، وهو يصرخ :

- ليس هنا ؟! ماذا تعنى بأنـه ليس هنا يا رجل ؟! لقد هبط فى المصعد أمامنا جميعًا !!

أجابه الرجل متوترًا :

- المصعد خال أيها الرئيس ، ولكن ..

صاح (أورتيجا) كالمجنون :

- ولكن ماذا أيها التعس ؟!

أجابه الرجل فى سرعة :

- فتحة الطوارئ مفتوحة ، فى سقف المصعد .

تدلّى فك (أورتيجـا) السفلى فى ذهـول ، وهـو يهتف :

- فتحة الطوارئ ؟!

دارت عيناه فى محجريهما ، وهـو يتساءل : كيف يمكن أن يقفز (أدهم) ، عبر فتحـة الطوارئ ، فى سقف المصعد ، ومعصماه مقيدان خلف ظهره ؟!

كيف ؟!

بدا لـه الأمر مستحيلاً ، حتى أنـه ظلّ فـاغرًا فـاه لبضع ثوان ، قبل أن يصرخ :

- إنـه بأعلـى .. أوقفوا المصعد ، وافحصـوا كل طوابق الفندق ، حتى السطح .. أريد قتل ذلك الرجل بأى ثمن .. أى ثمن .

وأنهى المحادثـة ، وهـو يضيف بعينين محمرتيـن كالوحوش :

- وليذهب الشريط إلى الجحيم .

وانطلق مع رجاله يفحصون كل طوابق الفندق .. حتى السطح ..

السطح ، الذى بلغه (أدهم) ، ووقف يدير عينيه فيه ، بحثًا عن مخرج منطقى ..

ولكن الفندق كان يختلف عن كل ما حوله من مبان ..

كان يرتفع لسبعة طوابق كاملة ، فى منطقة عتيقة فى (ريو دى جانيرو) ، لا يزيد ارتفاع المبانى فيها على أربعة طوابق على الأكثر ..

وكل المنطقة المحيطة بالفندق كانت خالية من المبانى ، فيما عدا تلك المبانى عبر الشارع ، والتى تتكوَّن كلها من أربعة طوابق فحسب ..

وتعلَّقت عينا (أدهم) بكابل كهربى سميك ، يمتَد من سطح الفندق إلى سطح المبنى المقابل ، عبر الشارع ، الذى يبلغ اتساعه ثلاثين مترًا ، و...

« ها هو ذا .. »

انطلق الهتاف من خلفه فجأة ، فاستدار إلى مصدره فى سرعة ، ورأى أحد رجال (أورتيجا) يعدو نحوه ، وهو يصرخ ، عبر جهاز الاتصال اللاسلكى :

- الرجل على السطح أيها الرئيس .

وانقضَ (أدهم) بدوره على الرجل ، الذى رفع

فوهة مدفعه الآلى ؛ ليطلق النار عليه ، ولكن (أدهم) وثب فى خفة ، وركل المدفع الآلى من يد الرجل بقدمه اليمنى ، ثم ركله فى أنفه مباشرة باليسرى ركلة قوية ، تراجع لها الرجل فى عنف ، فى نفس اللحظة التى برز فيها رجل آخر من مدخل السطح ..

وانحنى (أدهم) فى سرعة ، يتفادى رصاصات مدفع الرجل الثانى ، ويلتقط مدفع الرجل الأوَل فى الوقت ذاته ، ويطلق منه النار نحو الرجل الثانى ، الذى تراجع فى سرعة ، فاختلَ توازنه ، وسقط أرضًا ..

وانطلق (أدهم) نحو مدخل السطح ، ووثب يركل بابه فى قوة ، ثم دفع ماسورة المدفع الآلى فى رتاجه ، ليغلقه بإحكام ، ووقع عشرات الأقدام يعدو على درجات السلم ، متجهًا نحو السطح ..

وكان هذا يعنى أن المعركة ستحتدم فى عنف ، فوق سطح الفندق ..

وستلتهم الكثير من الوقت ..

الكثير جدًّا ..

وهذا ما لا يملكه (أدهم) ..

الوقت ..



وبسرعة مدهشة ، انتزع (أدهم) حزام بنطاله ، وألقى طرفه نحو الكابل الكهربى ..

وبسرعة مدهشة ، انتزع (أدهم) حزام بنطاله ، وألقى طرفه نحو الكابل الكهربى ، ثم التقطه من الجانب الآخر ، فى نفس الوقت الذى انطلقت فيه رصاصات (أورتيجا) ورجاله ؛ لتنسف رتاج باب مدخل السطح ..

واندفع رجال الشرطة وقائدهم إلى السطح ..

وفى نفس اللحظة ، وثب (أدهم) منه ..

قفز من السطح ، وهو يمسك حزامه من طرفيه ، وينزلق بوساطته على الكابل الكهربى ، نحو سطح المبنى المقابل ، عبر الشارع ، الذى عرضه ثلاثون مترًا ، فوق رءوس المحتفلين بالمهرجان ..

وصرخ (أورتيجا) فى جنون ، أمام هذا المشهد المدهش :

- لا تسمحوا له بالفرار .. أطلقوا النار على الكابل .. أسرعوا .

ومع صرخته ، ارتفعت فوهات المدافع الآلية نحو الكابل ..

وانطلقت الرصاصات تدوى ، على سطح الفندق ..

وانقطع الكابل الكهربى فى عنف ..

انقطع قبل أن يبلغ (أدهم) سطح المبنى المقابل بعشرة أمتار فحسب ..

وهوى (أدهم) ..

هوى من ارتفاع خمسة طوابق كاملة ..

دون أن يكون هناك أى شىء ، يمكن أن يتشبَّث به ..

أى شىء ..

★ ★ ★

« سبع دقائق فحسب ، ونقلع إلى (سوكريه) .. »

نطق قائد الطائرة الخاصة العبارة فى صرامة ، وهو يتطلَّع إلى (منى) و (جيهان) و (قدرى) و (بترو) ، فقالت (منى) فى عصبية :

ـ لن نقلع ، قبل أن يصل (أدهم) .

قال الطيار فى حزم :

ـ لو أن (أدهم) هذا هو الرجل ، الذى استأجر الطائرة ، فأوامره محدودة وحازمة فى هذا الشأن .. لابد أن نقلع فى الموعد تمامًا ، مهما كانت الأسباب والظروف .

قالت (منى) فى إصرار :

ـ قلت لك : لن نقلع ، قبل أن يصل (أدهم) .

همَّ الطيار بقول شىء آخر ، ولكن (جيهان) سبقته ، قائلة فى صرامة :

ـ بل سنقلع فى الموعد المحدود تمامًا يا (منى) .

التفتت إليها (منى) فى حدة ، فتابعت بنفس الصرامة :

ـ إنها أوامر (أدهم) .

انعقد حاجبا (منى) فى شدة ، وهى تقول غاضبة :

ـ هل ستتخلين عنه بهذه البساطة ؟!

بدا الضيق على وجه (جيهان) ، وهى تقول :

ـ لست أتخلَّى عنه .. إننى أنفذ أوامره .. هكذا تعلمنا فى عملنا .. أن تنفذ أوامر الرؤساء دون مناقشة .

قالت (منى) فى حدة :

ـ فى هذه الحالة ، عليك تنفيذ أوامرى أيتها النقيب ، ففى غياب (أدهم) ، أصبح أنا رئيسك المباشر .

ابتسمت (جيهان) فى سخرية ، قائلة :

ـ هذا لو أنك هنا بصفة رسمية أيتها الرائد .

قالت (منى) فى عصبية :

- ماذا تعنين ؟!

أجابتها (جيهان) بتحد واضح :

- أعنى أنه من الناحية الرسمية ، ليست لك أية صفة هنا يا (منى) .. أنت مجرَّد دخيل .. متطفلً .. لقدا أقحمت نفسك فى هذه المهمة ، دون أوامر من الرؤساء ، أو حتى موافقتهم ، وهذا لا يمنحك أية سلطات هنا .

ثم رفعت رأسها فى اعتداد ، مستطردة :

- أنا الأن زميلة (أدهم صبرى) الرسمية .

احتقن وجه (منى) ، وهى تقول :

- زميلته الرسمية ؟! أى قول هذا يا (جيهان) ؟! إن أحدًا لم يعمل ، فى هذه الإدارة ، إلى جوار (أدهم) ، أكثر منى .

أطلقت (جيهان) ضحكة عصبية ساخرة ، وقالت :

- بالطبع ، ولكنك نسيت أن تقولى إن أحدًا ، فى الجهاز كله ، لم يسبب له من المشكلات بقدر ما فعلت أنت .

تراجعت (منى) كالمصعوقة ، وهى تقول :

- أى قول هذا ؟!

أجابتها (جيهان) فى شراسة عجيبة :

- راجعى تاريخك معه ، وستجدين أنك أوقعته فى عشرات المآزق والمشكلات .. كم مرة اختطفك خصومه للتأثير عليه ؟! كم مرة جازف بحياته لإنقاذك ؟! كم مرة ..

قاطعتها (منى) فى حدة :

- كفى يا (جيهان) ..

وخفضت عينيها مع صوتها ، وهى تكمل فى مرارة :

- كفى .

تطلَّع إليها (قدرى) مشفقًا ، ثم قال لـ (جيهان) فى غضب :

- لقد تجاوزت حدودك هذه المرة يا (جيهان) .

عقدت (جيهان) حاجبيها ، وأشاحت بوجهها فى صرامة ، فى حين احتقن وجه (منى) ، وهى تشير إلى (قدرى) ، متمتمة :

- دعها يا (قدرى) .. إنها على حق .

هتف :

- مطلقًا .. ما حدث معك كان يمكن أن يحدث معها .

التفتت إليه (جيهان) فى حدة ، قائلة :

ـ هل تعتقد هذا ؟!

أجابها فى عصبية :

ـ ولِمَ لا ؟!

قالت فى صرامة :

ـ لأننى أختلف تمامًا ..

ثم رمقت (منى) بنظرة سريعة ، قبل أن تضيف :

ـ عنها .

تدخَّل الطيَّار فى هذه اللحظة ، قائلاً فى صرامة :

ـ لست أدرى ما الذى تتشاجرون بشأنه أيها السادة ، ولكننى أحب أن أذكركم بأنه لم يعد أمامنا سوى خمس دقائق فحسب ، ونقلع بعدها إلى (سوكريه) .

التفتت إليه (جيهان) ، قائلة فى لهجة شرسة :

ـ اصمت يا رجل ، واستعد للإقلاع ، عندما تحين اللحظة المناسبة ، طبقًا لما لديك من تعليمات .

ومالت تتطلَّع إلى الطريق ، قبل أن تستطرد فى صرامة :

ـ سنقلع فى موعدنا بالضبط .

نطقتها ، فاستدارت العيون كلها تتطلَّع إلى الطريق ،

فى لهفة وقلق ، وقد انبعث سؤال واحد فى كل العقول ..

ترى أين (أدهم) الآن ؟!

أين ؟!

* * *

هوى (أدهم) ، من ارتفاع خمسة طوابق ، دون أن يحيط به شيء واحد ، يمكن التشبُّث به ..

لذا ، فقد تعلَّق بالكابل ، على نحو غريزى ..

ومن حسن حظه أن ذلك الجزء من الكابل ، كان يحمل التيار الكهربى ، من ناحية الفندق إلى المبنى المقابل ، وليس العكس ..

لذا فقد هوى به الكابل نحو الشارع ، الذى اكتظَّ بطوفان من البشر ، وهو متشبث به بشدة ، ودفعه نحو الطابق الأوَّل فوق الأرضى ، من المبنى المقابل ..

وصرخ من لمحوه ، من روَّاد المهرجان ..

ولكن صرختهم ضاعت وسط الهرج والضجيج ..

وامتزجت بدوى الصواريخ الضوئية الملوَّنة ، التى تفجَّرت فى سماء المدينة ..

وسقط الجزء الأعظم من الكابل على المحتفلين ..

وتصوَّر البعض أن هذا جزء من المهرجان ..

حتى أولئك الذين شاهدوا (أدهم) ، وهو يندفع نحو المبنى ..

أما (أدهم) نفسه ، فقد مال بجسده جانبًا ، محاولاً التوجه نحو إحدى نوافذ المبنى المقابل ، بدلاً من الارتطام بجداره ..

ولكن مساره لم يكن يمنحه هذه المزية قط ..

لذا ، فقد تعلق بصره بالمبنى ، وهو يندفع نحوه ، و ...

وفجأة ، أفلت يديه من الكابل ..

واندفع جسده حرًا نحو المبنى ..

ونحو إحدى نوافذه بالتحديد ..

وبعنف شديد ، ارتطم جسد (أدهم) بالنافذة ، وهو يحمى وجهه بذراعيه ، ووجد نفسه يندفع داخل مكان ما ، ويصطدم بعدد من الأوانى المعدنية ، قبل أن يرتطم بأرضية المكان فى عنف ، وسط ضجيج قوى ..

وعلى الرغم من عنف الارتطام وقوته ، قفز (أدهم) واقفًا على قدميه ، فى نفس اللحظة التى اندفع فيها رجل إلى المكان ، وحدق فيه بذهول ، هاتفًا بالبرتغالية :

- رباه ! ما هذا بالضبط ؟!

لوح (أدهم) بذراعه ، وهو يقول مبتسمًا :

- معذرة يا رجل ... إنه خطأ غير مقصود .. أنت تعرف ذلك المزاح السخيف فى المهرجانات .

حدق الرجل فيه مرة أخرى فى ذهول ، وانتبه (أدهم) ، فى هذه اللحظة فقط ، إلى أنه قد سقط داخل مطبخ كبير ، فتراجع نحو النافذة ، ملوحًا بيده ، وهو يقول :

- ولكننى سأعود من حيث أتيت بالتأكيد .

ظهرت امرأة فى تلك اللحظة ، وهى تصرخ فى ارتياع :

- آه .. مطبخى ! لقد حطمت مطبخى !!

وصاح الرجل ، وهو يشير إليه :

- انظرى .. هناك أغلال تحيط بمعصميه .

وثب (أدهم) إلى النافذة المحطمة ، قائلاً :

- معذرة ، ولكن ليس لدى ما يكفى من الوقت ، لشرح هذا الموقف .. الوداع .

شهقت المرأة ، عندما وثب من النافذة إلى الشارع المزدحم ، وهتفت :

- إنه مجنون حتمًا .

لم يسمع (أدهم) هذا الهتاف ، وهو يهبط وسط زحام المهرجان ، ثم يشقّ طريقه في صعوبة ، بين المحتفلين ، الذين لم يبالوا بهبوطه بينهم ، وكأنما اعتادوا كل شاذ وعجيب ، في مهرجاناتهم السنوى ، في حين ألقى هو نظرة على ساعته ، وهو يغمغم :

- أربع دقائق فقط يا (أدهم) ، إما أن تبلغ خلالها ذلك المطار ، أو تقلع الطائرة بدونك .

كانت الأغلال المحيطة بمعصميه تقلقه ، ولكنه لم يفكِّر في محاولة انتزاعها عنهما ، وهو يشق طريقه وسط الزحام ، ويتحرَّك في سرعة .

ومن بعيد ، صاح (أورتيجا) :

- إنه يحاول الفرار مرة أخرى .. فليبق أحدكم على السطح ، وليحدِّد مساره ، بوساطة منظار مقرِّب ، وليتبعنى الجميع لمواصلة المطاردة ..

تبعه معظم رجاله ، وأحدهم يسأله في توتر :

- هل تعتقد أننا نستطيع اللحاق به ، وسط كل هذه الظروف يا سيِّدى المفتش ؟!

أجابه (أورتيجا) في صرامة :

- اصمت ونفذ ما آمرك به فحسب يا رجل .

أسرع الجميع يهبطون إلى الشارع ، وانطلقوا في محاولة للحاق بـ (أدهم) ، والرجل الذى تركوه على السطح يرشدهم ، قائلاً :

- إنه مازال يشقّ طريقه بين الجموع .. لقد انحرف في الشارع السابع .

ثم هتف في حنق :

- اللعنة .. إننى لم أعد أراه .

صاح به (أورتيجا) في غضب :

- أيها الغبى ! أيها الحقير !!

هتف الرجل ، محاولاً تبرير موقفه :

- لا يمكننى رؤيته من هنا أيها الرئيس ..

انعقد حاجبا (أورتيجا) في غضب هادر ، وهو يهتف :

- اللعنة ! اللعنة .

ثم أمسك صدغيه بكفيه ، وهو يتابع في عصبية شديدة :

- لا يا (أورتيجا) .. لا يمكن أن تخسر كل شيء هكذا .. بعد أن بذلت كل ما بذلته .. لقد نجوت

من هؤلاء البدائيين بمعجزة ، وكدت تلقى القبض على ذلك المصرى ، فلا تخسر كل شىء الآن .. أنا واثق من أن ذلك الشريط المسجَّل مجرَّد خدعة .. نعم .. هو كذلك بالتأكيد .. خدعة استخدمها ذلك الرجل ليهرب مرتين .. ولكن لا ينبغى أن يبقى ذلك الرجل على قيد الحياة .. مهما حدث .. مهما حدث .

بدت الدهشة على وجوه رجاله ، عندما راح يدور حول نفسه ، وهو يردِّد فى عصبية :

- فكِّر إذن يا (أورتيجا) .. فكِّر .. استخدم عقلك مرة واحدة ، قبل أن تخسر كل شىء .. فكِّر .. تُرى إلى أين يمكن أن يذهب ذلك الرجل الآن ... لقد خدع الروسى ، وحصل منه على موقع السنيورا ، ثم تبعه إلى هنا ، وقتله لسبب ما .. أين يمكن أن يذهب إذن بعد هذا ؟! أين ؟! أين ؟!

وتوقَّف فجأة ، ليهتف :

- بالطبع .. إنه سيحاول مغادرة البلاد بأقصى سرعة .. ما الذى يدعوه إلى البقاء هنا ، بعد أن حقَّق كل ما يصبو إليه ؟! إنه سيسعى للفرار ، والذهاب إلى (بوليفيا) بالطبع .

انعقد حاجباه ، وهو يدرس الفكرة فى رأسه جيدًا ، قبل أن يهتف :

- نعم .. هذا ما سيفعله بالتأكيد .

ثم التقط جهاز الاتصال اللاسلكى من حزامه ، وهتف :

- إلى القيادة المشتركة لقوات الأمن .. صلنى بدوريات تفقُّد المطارات الخاصة على الفور .. أنا المفتش (أورتيجا) .. (باولو أورتيجا) .. أسرع يا رجل .. إنه أمر بالغ الأهمية والخطورة .. أسرع .

كان جسده كله ينتفض فى انفعال ، وهو ينطق هذه الكلمات ، وفى عقله تدور فكرة جديدة ..

فكرة تثبت أن عقله قد بدأ يعمل بالفعل ..

بمنتهى الحيوية ..

والشراسة ..

★ ★ ★

ثلاث دقائق ، وينتهى كل شىء ..

دارت الفكرة فى أرس (أدهم) ، وهو يعدو بأقصى سرعته ، عبر الشارع السابع ، ليبلغ أحد الشوارع الخلفية ، التى لم تكتظ بالمحتفلين ، وما إن

بلغ ذلك الشارع ، حتى اندفع نحو أقرب سيارة ، وفحص قفل بابها فى سرعة ، ثم غمغم :

- يا للخسارة !! إنه من نوع لا يمكن فتحه إلا بمفتاحه الخاص .

قالها ، ورفع ذراعه ، ليهوى بمرفقه على زجاج السيارة فى قوة ..

وتحطم الزجاج بدوى مكتوم ، فأسرع (أدهم) يجذب رتاج الباب من الداخل ، فى نفس اللحظة التى انطلق فيها رنين جهاز الإنذار ، المزوّدة به السيارة ..

وقفز (أدهم) إلى مقعد القيادة ، وانتزع أسلاك تابلوه السيارة فى عنف ، ثم أوصلها ببعضها ، فى نفس اللحظة التى ظهر فيها رجل يهتف فى غضب :

- ماذا تفعل بسيارتى يا هذا ؟!

أجابه فى هدوء عجيب ، وهو يدفع عصا القيادة الآلية إلى وضع الانطلاق :

- لا تقلق يا رجل .. إننى أستعيرها فحسب .

هتف الرجل فى دهشة :

- تستعيرها ؟!

ومع هتافه ، انطلق (أدهم) بالسيارة ..

ولثوان ، حدّق الرجل فيه بذهول ، انتزع نفسه منه فى سرعة ، وانطلق يعدو خلف السيارة ، صائحًا :

- لص .. لص .. أمسكو اللص ..

ولكن (أدهم) كان ينطلق بسرعة مخيفة ، وهو يراجع خريطة (ريو دى جانيرو) فى ذهنه ، حتى يمكنه انتقاء الشوارع غير المطروقة ، وسط الاحتفال السنوى ..

وقفزت السيارة من شارع إلى شارع ، وراحت تخترق طرقات ضيقة ، وشوارع جانبية صغيرة ، والوقت يمضى بسرعة مخيفة ، حتى خرجت من نطاق المدينة ، فضغط (أدهم) دوّاستها حتى آخرها ، لتنطلق بأقصى سرعة يسمح بها محركها ، وهو يلقى نظرة على ساعته ، التى أشارت عقاربها إلى أنه لم يعد أمامه سوى دقيقة فحسب ، قبل إقلاع الطائرة ..

وبينما ينطلق بتلك السرعة الخرافية ، كان قائد الطائرة يدير محركها بالفعل ، وهو يقول فى صرامة :

- معذرة أيها السادة .. لابد أن نستعد للإقلاع .

قالت (منى) فى عصبية :
- ما زالت أمامنا دقيقة كاملة يا رجل .
أجابها فى حزم :
- المحرك يحتاج لبعض الوقت ، قبل أن يصبح جاهزًا للإقلاع .
أومأت برأسها متفهمة ، وهى تتطلع إلى الطريق فى لهفة ، وتزدرد لعابها فى توتر ، فغمغم (قدرى) :
- اطمئنى يا (منى) .. (أدهم) سيصل فى موعده بإذن الله .
قالها بلهجة تحمل أضعاف ما يحمله وجهها من توتر وقلق ، فتنهدت .. مغمغمة :
- بإذن الله يا (قدرى) .. بإذن الله ..
أشاحت (جيهان) بوجهها لتخفى انفعالاتها ، وهى تتمتم بكلمات غير مسموعة ، وتتطلع إلى عقرب الثوانى فى ساعتها طوال الوقت ..
(بترو) وحده ظلَّ هادئًا صامتًا ، وكأنما يثق تمامًا بأن (أدهم) سيصل فى موعده ، وأنه لن يخسر تلك المعركة قط ..
ولا عجب فى هذا ، فالزنجى العملاق بات يتطلع

إلى (أدهم) وكأنه أحد أبطال الأساطير ، الذين يتصدون للوحوش والجيوش ، دون أن يهتز لهم طرف ، أو تواجههم لمحة واحدة من الهزائم ، بعد أن أنقذ حياته ، فى تلك المقبرة البدائية ، وبعد أن رأى هو بنفسه كيف انحنى أمامه الوطنيون ، و ...
« ها هو ذا .. »
هتفت (منى) بالكلمة ، وجسدها ينتفض انفعالاً ، وهى تشير إلى أضواء السيارة ، التى تقترب بسرعة كبيرة ، فهتف (قدرى) :
- حمدًا لله .. حمدًا لله ..
وعضت (جيهان) شفتيها ، لتمنع دموعها من الانهمار ، وهى تلتفت إلى الطيَّار ، قائلة فى حزم ، بذلت جهدًا مدهشًا لتبديه :
- استعد يا رجل .. سنقلع فى موعدنا تمامًا .
أما (بترو) ، فقد نهض من مكانه ، وتطلع إلى السيارة فى اهتمام ، ثم لم يلبث أن هتف بالبرتغالية فى حدة :
- سيارة أخرى .
لم يكن أحدهم بحاجة لهذا الهتاف ، فقد لمحو جميعًا ، فى اللحظة نفسها ، تلك السيارة (الجيب)

القوية ، التى انطلقت تنهب الأرض نهبًا ، خلف سيارة (أدهم) ..

حتى الطيّار لمح تلك السيارة ، فهتف فى ارتياع :

ـ يا للمصيبة ! إنها دورية المطارات .

وضغط زر الانطلاق ، مستطردًا :

ـ لابد أن نقلع على الفور .

بدأت الطائرة تحرُكها بالفعل ، على ممر الإقلاع ، فصاحت (منى) :

ـ لا .. ما زالت هناك نصف الدقيقة ..

صاح بها :

ـ لا يمكننى الانتظار ثانية واحدة يا سيّدتى .. لقد وصل رجال الدورية قبل موعدهم ، ولو أمسكوا بنا سينتهى أمرنا جميعًا .

كان (أدهم) ينطلق بالسيارة بأقصى سرعة بالفعل ، ولكن سيارة الدورية القوية اقتربت منه بسرعة مدهشة أيضًا ، ثم لم يلبث سائقها أن تجاوزه ، وقائدها يهتف ، عبْر مكبّر صوتى :

ـ توقّف يا رجل ، وإلا أطلقنا النار .

ولكن (أدهم) لم يتوقّف ، وإنما واصل الانطلاق

بنفس السرعة ، وهو ينحرف بالسيارة ، ليتفادى سيارة الشرطة ..

ولكن سيارة الدورية القوية انحرفت نحوه فجأة ، واعترضت طريقه ، وأشهر ثلاثة من ركابها مدافعهم الآلية ، و ..

وانطلقت الرصاصات فى قلب الليل .. بمنتهى العنف .





٨ - الهدف ..

انطلقت زفرة حارة ، من أعمق أعماق صدر الدكتور (محمد العفيفى) ، خبير الهندسة النووية ، وهو يخلع منظاره ، ويضعه إلى جواره ، ثم يتطلع مرة أخرى إلى خريطة (بوليفيا) الكبيرة ، المعلقة على الجدار ، قبل أن يهزّ رأسه ، قائلاً :

- من كان يتصورّ أن أحتاج إلى الجغرافيا ، بعد كل هذه السنين ؟!

والتفت إلى رجل المخابرات الجالس إلى جواره ، متابعًا بابتسامة باهتة :

- هل تصدّق أننى التحقت بالقسم العلمى ، فى دراستى الثانوية ، لأفر من علم الجغرافيا بالذات(*) ؟!

(*) الجغرافيا : علم وصف الأرض ، ويعنى بوصف الظواهر الطبيعية والبشرية ، وتحليلها ، والربط بينها ، واستخلاص قوانين عامة منها ، ولقد سبقت (اليونان) فى دراسة الجغرافيا الأصولية ، ورسم الخرائط ، ثم جاء علماء العرب ، الذين ساعدهم اتساع رقعة الدولة فى زمنهم ، مثل (اليعقوبى) ، و(وياقوت) ، و(الإدريسى) ، ليضعوا قواعد علم الجغرافيا الحديث .

ابتسم رجل المخابرات ابتسامة مجاملة ، وهو يقول :

- عملنا علّمنا أن كل شىء يمكن أن يفيد ، فى وقت ما .

هزّ الدكتور (محمد) كتفيه ، وقال :-

- مبدأ صحيح بالتأكيد ، ولكن لا أحد يمكنه معرفة كل شىء ، فى زمننا هذا .. لقد أصبحت المعارف عديدة وغزيرة للغاية ، والإلمام بجانب واحد منها ، قد يستغرق عمرك بأكمله .

أجابه رجل المخابرات فى هدوء :

- لا مانع من الاطلاع على بعض الجوانب الأخرى أيضًا .

مطّ الدكتور (محمد) شفتيه ، وقال :

- أنت علي حق يا رجل .. أنت على حق .

وعاد يتطلع إلى الخريطة الكبيرة ، وتنهّد مرة أخرى ، مستطردًا :

- ولكننى لا أستطيع .

ضغط رجل المخابرات أزرار الكمبيوتر الموضوع أمامه ، قائلاً :

- ربما يساعدك برنامج الكمبيوتر ثلاثى الأبعاد .

هزّ الدكتور (محمد العفيفى) كتفيه ، قائلاً :

- أتعشَّم هذا ، فهو سيمنح الجغرافيا مظهرًا علميًّا على الأقل ، و ...

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، جعلت رجل المخابرات يسأله فى قلق واهتمام :

- ماذا هناك ؟!

أمسك الدكتور (محمد) ذراع رجل المخابرات فى انفعال ، جعل الرجل يعضّ شفته ألمًا ، والدكتور (محمد) يقول :

- هذه هى النقطة ، التى لم ننتبه إليها يا رجل .. إننى لست بحاجة لمعرفة أى شىء عن الجغرافيا ، لتحديد الموقع المناسب لبناء مفاعل نووى ، فى قلب الجبال .

سأله رجل المخابرات فى اهتمام :

- ماذا تعنى ؟!

أجابه الدكتور (محمد) ، وقد تحوَّل انفعاله إلى حماس جارف :

- أعنى أنها مشكلة علمية ، وليست مشكلة جغرافية يا رجل .. مشكلة علمية بحتة .

أطلّ تساؤل واضح من عينى رجل المخابرات ،

فنهض الدكتور (محمد) من فرط حماسه ، ودقّ سطح المنضدة بقبضته ، مستطردًا :

- وعلى نحوٍ أكثر وضوحًا ، أعنى أننى قد وجدت حلاً علميًّا بحتًا للمشكلة .

نطقها هذه المرة فى حماس وانفعال ، و ... وثقة ..

* * *

فى صمت تام ، راحت السنيورا تتطلَّع إلى الجبال الممتدَّة أمامها ، على ضوء القمر ، وهى تجلس فى حجرتها ، وتنفث دخان سيجارتها فى بطء ، فى محاولة للسيطرة على أعصابها الثائرة ، واستعادة هدوئها ، على الرغم من الموقف شديد التوتر ، الذى يحيط بها من كل جانب ، وهى تلهث ، محاولة إنهاء المرحلة الأولى من مشروعها النووى ، قبل أن تتعقَّد الأمور أكثر وأكثر ..

وعلى الرغم منها ، تركَّزت أفكارها كلها عند نقطة واحدة ..

(أدهم صبرى) ..

ففى كل مرة ، يظهر فيها هذا الرجل فى حياتها ، تنتهى الأمور بكارثة ..

بل ، ربما كان هو السبب الرئيسى فيما هى عليه الآن ..

هو المسئول عن إختبائها وسط الجبال ، كما لو كانت مجرمًا طريدًا ..

لقد كانت لها مكانة كبيرة ، قبل أن يحدث كل هذا ..

ولكن (أدهم) اقتحم حياتها ..

وحطمها ..

وبمنتهى العنف ..

وبسببه عاشت فترة قاسية ..

قاسية للغاية ..

فترة لا يمكن أن تنساها قط ..

ولا يمكن أن تنساه بعدها أبدًا ..

لذا ، فهى تمقته ..

تمقته بكل ذرة فى كيانها ..

تمقته حتى إنه لو بقيت فى حياتها حركة واحدة ، ولحظة واحدة ، لاستغلت تلك اللحظة لتقتله ..

وبعدها لن يعنيها أى شىء ..

أى شىء ..

ولكنها أولاً ، ستحقق ما ظلت تحلم به ، فى أيام القسوة والعذاب ..

ستسيطر على كل من عرفتهم فى حياتها كلها ..

على الأمن ..

والاقتصاد ..

والعالم أجمع ..

ستحقق حلمها ، مهما كان الثمن ..

ومهما كانت الأساليب ..

لن تسمح بلحظة فشل واحدة ..

لن تسمح بالفشل قط ..

انتابتها موجة من الحنق ، عندما بلغت هذه النقطة بالتحديد ، فألقت سيجارتها عبر الشرفة فى حدة ، ثم التقطت سيجارة أخرى ، وأشعلتها بقداحتها الذهبية ، وهى تقول فى عصبية :

- لا .. لن أسمح لك بإفساد حياتى مرة أخرى يا (أدهم صبرى) ..

لم تكد تنطقها ، حتى ارتفعت فجأة دقات رصينة على باب حجرتها ، فالتفتت إليه فى حدة ، هاتفة :

- من هناك ؟!

أتاها صوت أحد مساعديها ، وهو يقول :

- البروفيسير (دى مال) يطلب مقابلتك على الفور يا سنيورا .

انعقد حاجباها فى شدة ، وهى تقول :
- (دى مال) مرة أخرى ؟! ألم يعد لدينا سواه ؟!
ونفثت دخان سيجارتها فى عصبية ، مستطردة :
- دعه يأتى .
ونهضت من مقعدها ، وراحت تدور فى حجرتها فى عصبية ، حتى سمعت دقات أخرى على بابها ، فقالت فى حدة :
- ادخل يا بروفيسير .
دلف (دى مال) إلى حجرتها ، وهو يقول فى توتر :
- كان ينبغى أن ألتقى بك على الفور .
سألته فى عصبية :
- هل توجد أية مشكلات فى العمل ؟!
غمغم مرتبكًا :
- كلا ، ولكن ...
قاطعته فى صرامة :
- هل سيتأخر إنتاج القنبلة الذرية المحدودة لأى سبب ؟!
احتقن وجهه ، وهو يجيب :

- القنبلة سيتم إنتاجها فى موعدها ، مع الجهد الإضافى الذى نبذله من أجل هذا .. أعنى الذى تضطريننا لبذله ، و ...
بدا عليها نفاد الصبر ، وهى تقاطعه مرة أخرى ، قائلة :
- هات ما لديك يا رجل .. إننى أبغض المقدمات الطويلة .
رفع (دى مال) عينيه إليها ، وسألها مباشرة ، فى توتر شديد :
- أين سيتمّ تفجير القنبلة ؟!
رمقته بنظرة غاضبة صارمة صامتة طويلة ، وهى تنفث دخان سيجارتها فى عصبية ، قبل أن تقول :
- وما شأنك بهذا ؟!
قال فى حدة :
- إنه شأنى بالتأكيد ، فلن أسهم فى إنتاج قنبلة ، تنفجر فى (فرنسا) مثلاً .
نفثت دخان سيجارتها مرة أخرى ، وهى تتأمله مليًا ، ثم قالت فى بطء تفوح منه رائحة الصرامة :
- هل يمكن أن تضحى بابنتك (برجيت) مثلا ، لمنع حدوث أمر كهذ ؟!

انتفض جسده فى قوة ، وهو يقول :
ـ بالتأكيد .
انعقد حاجباها فى شدة ، فتابع منفعلاً :
ـ لا يمكننى أن أضحىَ بـ (فرنسا) كلها ، من أجل حياتى وحياة ابنتى ، مهما كانت الأسباب .
مطت شفتيها فى حنق ، ثم مالت نحوه ، قائلة فى صرامة :
ـ لهذا أكره كل من يحمل شعورًا بالانتماء .
أدهشة قولها ، فتراجع بحركة حادة ، هاتفًا :
ـ ماذا ؟!
تراجعت بدورها ، وهى تلتقط نفسًا عميقًا من سيجارتها ، ثم تنفثه فى قوة ، متابعة بلهجة صارمة :
ـ الذكاء الحقيقى هو أن تنتمى لنفسك فقط .. لذاتك .. لكيانك .. وأن تفعل كل ما يفيدك وحدك ، حتى ولو نسفت الدنيا كلها ، فى سبيل هذا .
قال فى حدة :
ـ إذن فأنت تعتقدين أنه من الذكاء أن أثقب قاع السفينة ، لأحصل على الماء وحدى ، ثم أتركها تغرق بعد هذا .

ابتسمت فى سخرية ، قائلة :
ـ وأغرق معها .. أليس كذلك ؟! كلاً يا بروفيسير .. أعتقد أننى أذكى من هذا كثيرًا .
وعادت تميل نحوه ، مستطردة :
ـ إننى لا أثقب قاع السفينة ، إلا بعد أن يكون زورق النجاة معدًّا .
قلب شفتيه فى ازدراء ، قائلاً :
ـ أنانية مفرطة بغيضة .
تراجعت مطلقة ضحكة عالية مجلجلة ، وكررت ساخرة :
ـ أنانية ؟! إن أحدًا لم يعد يستخدم هذا المصطلح ، فى زمننا الحالى يا بروفيسير .. الأنانية صارت سمة العصر ، حتى إنها لم تعد تدهش أحدًا .
قال فى حنق :
ـ ولكنها ما زالت ترتبط بفئة خاصة من البشر .
أشارت بذراعيها ، قائلة :
ـ لقد اتسعت هذه الفئة كثيرًا ، دون أن تدرى .. اتسعت حتى كادت تشمل العالم كله .
ثم ابتسمت مرة أخرى فى سخرية ، مضيفة :

- ولكن يبدو أنك لم تنتبه إلى هذا .

بدا عليه الغضب ، وهو يقول :

- فليكن يا سنيورا .. لن نناقش فلسفتك الخاصة ، ووجهة نظرك فى أمور الحياة ، فتصرفاتك وسياساتك تعلنان هذا فى وضوح ، ولكننى هنا لسؤال واحد .. أين سيتمّ تفجير القنبلة ؟!

التقى حاجباها فى صرامة مباغتة ، وهى تقول :

- ليس هذا من شأنك .

أجابها فى عصبية :

- بل هو من شأنى يا سنيورا .. إننى لن أسهم فى عمل يروح ضحيته الملايين ، دون أن أجد إجابة ، لأهم سؤال فى الأمر كله .

كادت تنفجر فى وجهه ، مفرغة كل حنقها وتوتراتها ، إلا أن شيئًا ما منعها من ذلك ، جعلها تعيد التفكير فى رد الفعل ، وتلتقط نفسًا عميقًا من سيجارتها ، ثم تطلقه فى الهواء ، قائلة فى ليونة مفاجئة :

- لا يمكننى أن أخبرك أين سيتمّ تفجير القنبلة .

همّ بالاعتراض ، ولكنها وضعت أناملها على شفتيه ،

لتمنعه من التحدّث ، وهى تستدرك فى سرعة ، وابتسامة عذبة للغاية :

- ولكن يمكننى أن أؤكّد لك ، أن هذا سيتمّ فى منطقة خالية من السكان .

ارتجف الرجل مع ملمس أناملها على شفتيه ، وانتبه فجأة لرائحة عطرها الناعم ، الذى تسلّل من أصابعها إلى أنفه ، فاضطرب ، وتراجع بحركة حادة ، وهو يقول :

- أهذا وعد ؟!

أطلقت ضحكة ناعمة ، قبل أن تتطلّع إليه بعينيها الساحرتين ، قائلة :

- وهل ستصدّقنى ، لو أجبتك بالإيجاب ؟!

صمت لحظة ، ازدرد خلالها لعابه فى صعوبة ، قبل أن يجيب فى عصبية :

- كلا .

أطلقت ضحكة أخرى ، ثم هزّت كتفيها ، قائلة :

- ما فائدة الوعد إذن ؟!

ران عليهما الصمت لحظات ، وكلاهما يتطلّع إلى عينى الآخر مباشرة ، ثم لم يلبث (دى مال) أن خفض بصره ، وهو يقول فى توتر :

- فليكن يا سنيورا .. سأكتفى بكلمتك .

قالها ، واتجه نحو الباب فى خطوات سريعة ، ثم توقّف بغتة ، والتفت إليها ، قائلاً فى ارتباك .

- بالمناسبة .. أنت تتحدثين الفرنسية بطلاقة مدهشة .

تراقصت ابتسامة عابثة على شفتيها ، وهى تقول :

- حقًا ؟!

ارتبك الرجل أكثر وأكثر ، وأومأ برأسه إيجابًا ، بعد أن عجز لسانه من النطق ، ثم غادر الحجرة فى سرعة ، وأغلق بابها خلفه فى انفعال واضح ، ولم يكد يفعل ، حتى تلاشت الابتسامة عن شفتيها ، وتلاشت معها كل الليونة من ملامحها ، وانعقد حاجباها فى شراسة ، وهى تلتقط جهاز الاتصال الداخلى ، وتضغط زره ، قائلة فى صرامة :

- اريد تكثيف المراقبة على البروفيسير (دى مال) بالتحديد ، فهذا الرجل هو أكبر مصدر للخطر الداخلى الآن .

وأنهت الاتصال ، دون أن تنتظر ردًا لقولها ، وعادت تشعل سيجارة جديدة ، وهى تتجه مرة

أخرى إلى شرفتها ، وتتطلّع إلى الجبال ، على ضوء القمر ، وتسرح بأفكارها عند النقطة نفسها ..

(أدهم) ..

(أدهم صبرى) ..

* * *

بحركة حادة ماهرة ، انحرفت سيارة الدورية (الجيب) القوية ، لتعترض طريق سيارة (أدهم) ، فى نفس اللحظة ، التى أطلق فيها رجالها النار نحوه ..

وكان موقفًا عسيرًا بالفعل ..

خاصة لو وضعنا فى الاعتبار أن تلك الأغلال المعدنية ما زالت تحيط بمعصمى (أدهم) ..

ولكن عقله المدهش درس الأمر بسرعة خارقة كعادته ..

واستوعب الموقف كله ..

واتخذ قراره ..

ووضعه موضع التنفيذ ..

وبسرعة يعجز العقل العادى عن استيعابها ، تخلّى عن عجلة القيادة ، وترك السيارة تندفع نحو سيارة الدورية ، وهو يثب خارجها ، ويضمّ ركبتيه إلى صدره ، وهو يحمى وجهه بذراعيه ..

وكانت المفاجأة هذه المرة من نصيب سائق سيارة الدورية ، الذى فوجئ بسيارة (أدهم) تنقضّ عليه ، وقد اخترقتها رصاصات رفاقه ، وتركها (أدهم) ، الذى راح يتدحرج فوق الطريق بعنف ..

وأدار السائق عجلة القيادة فى سرعة ، محاولاً تفادى الاصطدام ..

وكاد ينجح فى هذا بالفعل ..

لولا عشرة سنتيمترات فحسب ..

ولولا السرعة الكبيرة ، التى كان ينطلق بها ..

ففى اللحظة الأخيرة ، اصطدم طرف سيارة (أدهم) بسيارة الدورية فى عنف ، فى نفس الثانية التى دارت فيها ، فى محاولة لتفادى الاصطدام ، فمالت سيارة الدورية بشدة ، وانطلقت من داخلها صرخات ارتياع قوية ، قبل أن تنقلب على جانبها ، وتنزلق على الطريق على نحو مخيف .

أما (أدهم) ، فعلى الرغم من كل ما أصابه من سحجات وكدمات ، فقد هبّ واقفاً على قدميه ، وانطلق يعدو نحو الطائرة ، التى تزايدت سرعتها أكثر وأكثر ..

وصاحت (منى) فى الطيّار :

- توقّف يا رجل .. توقّف لنلتقط (أدهم) ..

هتف الطيار فى انفعال :

- لايمكننى أن أتوقّف .. سيلحقون بنا حتماً :

كان ثلاثة من رجال الدورية قد قفزوا من السيارة ، على الرغم من كل ما أصابهم ، وانطلقوا يعدون خلف (أدهم) ، ويطلقون نحوه رصاصاتهم ، فصاحت (جيهان) فى غضب :

- أوقف الطائرة أيها الوغد ، وإلا نسفت رأسك .

صاح بها الطيارة :

- مستحيل ! لا يمكننى التوقف الآن ، ومادمت أقود الطائرة ، فسيلتزم الجميع بما أقول ، وإلا فقوديها أنت أيتها المتحذلقة الـ ...

قبل أن يتمّ عبارته ، فوجئ بها تحلّ حزام مقعده ، ثم تنتزعه منه فى قوة ، وتلقى به نحو (بترو) ، هاتفة :

- عرض جيِّد ، لا يمكننى رفضه .

شهق الطيّار فى ذعر ، واتسعت عيناه فى ذهول ، عندما احتلّت مقعده ، وسيطرت على الطائرة فى سرعة ومهارة ، فى نفس اللحظة التى فتحت (منى) فيها بابها ، وراحت تطلق النار على رجال الدورية الثلاثة ؛ لتحمى ظهر (أدهم) ، وهى تهتف :

- أسرع يا (أدهم) .. أسرع بالله عليك .
صاح الطيار ، وهو يندفع نحو مقعد القيادة :
- أنتم مجانين ، لا تدركون ماتفعلونه .. لو أصابت رصاصة واحدة خزان الوقود ، ستنفجر الطائرة بنا جميعًا .
أمسك به (بترو) فى قوة ، وهو يقول بالبرتغالية فى خشونة :
- اصمت يا رجل ، وإلا ألقيت بك خارج الطائرة .
قاومه الرجل فى عنف ، وهو يصرخ :
- أنتم لا تفهمون الموقف .. رجال الدورية سيبلغون القوات الجوية ووحدات الدفاع الجوى حتمًا ، ولن يمكنكم الإقلاع بعيدًا .. لن يمكنكم حتى مغادرة (ريو) .. سينسفوننا نسفًا لو حاولنا .
صاحت به (جيهان) ، وهى تستدير بالطائرة :
- اترك هذه المشكلة لنا :
صرخ فى ثورة :
- وماذا عنى ، وعن الطائرة ، والـ ....
قاطعته (جيهان) ، صائحة بالبرتغالية :
- (بترو) .. الق به .

أجابها (بترو) بسرعة :
- سمعًا وطاعة يا سنيورا !
شهق الطيَّار فى هلع ، وهو يهتف :
- ماذا ستفعل أيها التعس ؟!
قبل أن يتمّ عبارته ، ألقاه (بترو) خارج الطائرة ، فانطلقت من حلقه صرخة رهيبة ، وهو يرتطم بالأرض ، ويتدحرج فوقها بعنف ، قبل أن يلوِّح بقبضته ، ويطلق ألف سباب ساخط ..
أما (أدهم) ، فقد رأى الطائرة تستدير نحوه ، فانطلق نحوها كالصاروخ ، متجاهلاً دوى الرصاصات ، الذى ينطلق خلفه ، وراحت (منى) تصيح :
- أسرع يا (أدهم) .. أسرع ..
برزت فى تلك اللحظة سيارة دورية أخرى ، لم يكد رجال الدورية الأولى يلمحونها ، حتى راحوا يلوحون لها بأذرعتهم ، هاتفين :
- أسرعوا .. إنهم يحاولون الفرار .
انطلقت سيارة الدورية الأخرى خلف (أدهم) بسرعة كبيرة ، فهتفت (منى) لـ (جيهان) :
- سيلحقون به يا (جيهان) .. سيلحقون به ، قبل أن نلحق به .



واتسعت عيون رجال الدورية فى دهشة ، عندما رأوا (أدهم) ينطلق نحو الطائرة مباشرة ..

هتفت (جيهان) فى حزم :

- على جثتى .

وزادت من سرعة الطائرة ، وهى تتجه نحو (أدهم) ، مغمغمة فى توتر بالغ :

- هيا يا (أدهم) .. إننى أعتمد على مهارتك .. هيا ..

رأى (أدهم) الطائرة تندفع نحوه ، فأدرك ما ترمى إليه (جيهان) بالضبط ، وشعر برصاصة تحتك بساقه ، وأخرى تمرّ على مسافة سنتيمتر واحد من أذنه اليسرى ، فى حين اقترب هدير محرّك السيارة (الجيب) الأخرى منه أكثر وأكثر ، وراحت (منى) تطلق رصاصاتها فى سخاء ، محاولة منع اقترابها منه ..

ثم ارتفعت (جيهان) بالطائرة بالفعل ..

ارتفعت لمتر واحد من الأرض ، وهى تقول بانفعال :

- هيا يا (أدهم) .. هيا ..

واتسعت عيون رجال الدورية فى دهشة ، عندما رأوا (أدهم) ينطلق نحو الطائرة مباشرة ، وغمغم أحدهم ذاهلاً ..

ـ ماذا يفعل هذا الرجل بالضبط ؟!

ومع آخر حروف سؤاله ، وثب (أدهم) ..

كانت وثبة مدهشة ، تجاوزت المترين ارتفاعًا ، تعلّق بعدها بالقائم السفلى ، الذى يربط إطارى الطائرة ببعضهما ، وهى تواصل ارتفاعها أكثر وأكثر، و (منى) تهتف :

ـ يا إلهى ! يا إلهى ! لقد فعلها .

قاومت (جيهان) دموع تأثُّرها ، وهى تغمغم :

ـ نعم يا (منى) .. لقد فعلها .

أما (قدرى) ، فقد تفجَّرت دموعه بالفعل ، وهو يردِّد :

ـ (أدهم) .. حمدًا للّه .. حمدًا للّه .

(بترو) وحده تحرَّك فى سرعة ، ومال بجسده الضخم كله خارج الطائرة ، ليطمئن إلى أن (أدهم) قد نجح فى التعلّق بها بالفعل ..

وبعيون ذاهلة ، حدَّق رجال الدورية فى ذلك المشهد لثانية واحدة ، ثم صاح أحدهم ، وهو يصوِّب مسدسه إلى الطائرة ، ويطلق النار :

ـ اللعنة ! أى شياطين نواجه ؟!

انتقلت العدوى منه إلى رفاقه فى سرعة ، فراحوا يطلقون النار جميعًا خلف الطائرة ، التى ابتعدت كثيرًا ، دون أن تصيبها رصاصة واحدة ، فهتف آخر فى حنق :

ـ لقد نجحوا فى الفرار .

تمتم ثالث فى عصبية :

ـ كان المفتش (أورتيجا) على حق .. إنها محاولة هروب .

وانعقد حاجباه ، وهو يضيف فى حزم .

ـ ولكنها لن تكتمل .

قالها ، والتقط بوق جهاز لاسلكى السيارة ، وقال فى صرامة :

ـ هنا الدورية التاسعة .. لدينا حالة هروب جوى .. صلنى بالقوات الجوية ، ووحدات الدفاع الجوى .

قبل أن يتم التوصيل رسميًا ، اندفع نحوه أحد رجال الدورية الأولى ، وهو يدفع الطيَّار أمامه فى غلظة ، قائلاً :

ـ هذا الرجل هو قائد الطائرة .. إننى أعرفه جيدًا ، فسجله لدينا حافل بحالات مماثلة .

هتف الطيَّار مذعورًا :

- أنا لم أفعل شيئًا هذه المرة يا سيِّدى .. أقسم لك .. لم أفعل شيئًا .. لقد استولوا على طائرتى ، وأجبرونى على الإقلاع بها .

قال رئيس الدورية فى صرامة :

- هل تتوقَّع منى أن أصدِّق هذا ؟!

لوَّح الطيَّار بذراعيه ، وهو يهتف فى حرارة :

- ألم تر ما حدث أيها الضابط ؟! لقد جازفت بحياتى ، وقفزت من الطائرة فى أثناء سيرها ، حتى لا أضطر لمشاركتهم ما يفعلون ! ألم تر هذا بنفسك .. كاد عنقى يدقُّ ، وأنا ..

قاطعه رئيس الدورية بإشارة صارمة من يده ، وهو يقول :

- هل ترغب فى إثبات هذا حقًّا ؟!

هتف الرجل فى انفعال :

- بكل تأكيد ..

مال رئيس الدورية نحوه ، وهو يسأله فى صرامة :

- أخبرنى إذن ، ما وجهتهم بالضبط ؟!

قبل حتى أن يتمَّ سؤاله ، كان الطيَّار يهتف :

- (سوكريه) يا سيِّدى .. (سوكريه) (بوليفيا) ..

تراجع رئيس الدورية فى بطء ، وهو يكرِّر فى حيرة :

- (سوكريه) .

ثم مطَّ شفتيه ، وهرش رأسه ، مستطردًا :

- عجبًا ! كل الهاربين يختارون (الأرجنتين) فى المعتاد .

ناوله مساعده بوق اللاسلكى ، فى هذه اللحظة ، وهو يقول :

- قيادة القوات الجوية يا سيِّدى .

التقط الرجل البوق ، وضغط زر الاتصال ، قائلاً :

- هنا الدورية التاسعة .. أنا الرئيس أتحدَّث إليكم .. يبدو أن لدى هدفًا لكم الليلة يا رجال .. نعم .. طائرة صغيرة ذات محركين ، تتسع لستة ركاب فحسب .. إنها تتجه إلى (بوليفيا) .. نعم .. (بوليفيا) هذه المرة .

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف :

- لا .. ليس الإجراءات المعتادة .. لقد قاوموا بشدة ، وتصرَّفوا على نحو يوحى بالاحتراف

والشراسة .. لو أردتم نصيحتى ، فلابد أن تطلقوا النار مباشرة هذه المرة .. وبلا إنذار .

نطق الكلمة الأخيرة فى صرامة ، وعيناه تحملان نظرة مخيفة .

نظرة تعنى أن الهدف لم يعد مجرَّد منع محاولة فرار ..

أو حتى معرفة سببه ..

لقد أصبح لدى الجميع هدف واحد ..

نسف الطائرة ، التى تحمل (أدهم) ورفاقه ..

بلا إنذار ..

وبلا رحمة ..

★ ★ ★

من المؤكَّد أن تلك الأغلال المعدنية ، التى تحيط بمعصمى (أدهم) ، كانت تحدّ من حركته إلى حد كبير ، وعلى الرغم من هذا ، فقد تشبَّث بالقائم المعدنى ، الذى يربط إطارى الطائرة ببعضهما ؛ ثم رفع ساقيه إليه ، وأدارهما حول الإطار ، وترك جسده يتدلى إلى أسفل ، ليتأرجح عدة مرات فى قوة ، ثم يدفع ذراعيه نحو باب الطائرة المفتوح ..

وعندئذ ، التقطت يداه أصابع سوداء فولاذية ، أطبقت عليهما فى قوة ، ثم جذبه على نحو مدهش إلى داخل الطائرة ، وصاحبها يهتف فى لهفة وسعادة ، بصوت أجش ، ولغة برتغالية عامية .

- حمدًا لله على سلامتك يا (أومو بيليجروسو) .

ابتسم (أدهم) ، مجيبًا :

- يبدو أننى لن أندم أبدًا ، على إنقاذك فى (كوهيدور بيليجرو) يا (بترو) .

ارتجف صوت الزنجى العملاق ، وهو يقول فى تأثر :

- أنا الذى لن يندم قط على معرفتك يا سيِّدى .

واندفعت (منى) نحو (أدهم) فى حرارة ، وهى تهتف :

- حمدًا لله على سلامتك يا (أدهم) .. حمدًا لله .

انعقد حاجبا (جيهان) فى عصبية ، وهى تقول :

- هلاَّ جلستم فى الأماكن المخصَّصة لهذا ! تلك الاندفاعات العاطفية تخلّ بتوازن الطائرة .

أما (قدرى) ، فقد أجهش بالبكاء ، وهو يحتضن (أدهم) ، هاتفًا :

- (أدهم) .. يا إلهى ! لقد نجوت يا (أدهم) .. لقد نجوت .

ابتسم (أدهم) ، قائلاً :

- لا تقلق يا صديقى البدين .. لقد اتخذت قرارًا بألاّ أموت ، قبل أن أجبرك على خفض وزنك .

ابتسم (قدرى) من وسط دموعه ، وقال :

- سيفقدنى هذا شخصيتى الساحرة .

تعلّقت (منى) بذراع (أدهم) فى حب ، وأسندت رأسها إليه ، قائلة :

- حمدًا لله على عودتك إلينا .

عضت (جيهان) شفتيها ، وهتفت محنقة :

- هل ستجلسون على مقاعد تلك الطائرة اللعينة أم ماذا ؟!

التفت إليها (أدهم) ، وأشار بإبهامه ، قائلاً بابتسامة كبيرة :

- كانت مبادرة مدهشة .

ارتجفت ابتسامتها على شفتيها ، وهى تقول :

- أعلم هذا .

ثم استدركت بسرعة وتأثر :

- أنت أيضًا كنت مدهشًا :

انعقد حاجبا (منى) ، وهى تقول فى عصبية :

- اعتقد أنه من الأفضل أن نتخذ مقاعدنا .

رفع (أدهم) يديه أمام وجهه ، وهو يتطلّع إلى الأغلال ، قائلاً :

- هناك أمر ينبغى أن أفعله أولاً .

وانتزع سلكًا رفيعًا من أحد المقاعد ، عالج به رتاج الأغلال فى سرعة ، ثم انتزعها من حول معصميه ، وألقاها بعيدًا ، وهو يقول :

- لم تكن لدى دقيقة واحدة لأفعل هذا .

هتف (قدرى) فى حماس :

- هذا هو (أدهم) الذى أعرفه .. هذا هو (أدهم) .

أشار إليه (أدهم) ، قائلاً فى حزم :

- لو أردت نصيحتى يا صديقى ، فالأفضل أن تستمعوا جميعًا لرأى (جيهان) ، وليتخذ كل منكم مقعده ؛ فالساعة القادمة ستحمل الكثير من المشكلات والتعقيدات العديدة .

سأله (قدرى) فى دهشة ، وهو يتخذ مقعده :

- أية مشكلات وأية تعقيدات يا (أدهم) ؟! لقد

نجحنا فى الفرار من (ريو دى جانيرو) بالفعل ، وهزمنا الجميع هناك ، وحصلنا على ما كنا نبتغيه ونسعى إليه .

أشار إليه (أدهم) ، قائلاً :

- ولكن دورية الشرطة رأت ما فعلناه يا صديقى ، وهذا يفسد كل شىء .. ثم إننا لا نحفظ تضاريس المنطقة ، بنفس البراعة والدقة ، التى كان يحفظها بها قائد الطائرة ، وهذا سيجعل تحليقنا عسيرًا ، وخاصة فى طيران ليلى كهذا .

ثم تنهَّد ، مستطردًا :

- أضف إلى هذا أن المقاتلات البرازيلية ستتلقَّى أمرًا بمطاردتنا ؛ ولن يمضى ربع الساعة ، حتى نجدهم أمامنا هنا ، و ...

قاطعته (جيهان) فى انفعال :

- تصحيح يا (أدهم) .. يبدو أن هؤلاء الأوغاد يتحركون أسرع مما تتصوَّر بكثير .

التفت إليها الجميع فى توتر ، وانعقد حاجبا (أدهم) فى شدة ، وهو يتطلَّع عبر زجاج الطائرة الأمامى ..

فهناك ، فى مواجهة طائرتهم تمامًا ، كانت تندفع نحوهما مقاتلتان حربيتان تحملان شعار القوات الجوية البرازيلية .

وتحملان أيضًا أمرًا بإطلاق النار مباشرة .. دون إنذار .

★ ★ ★

انتهى الجزء الرابع بحمد الله
ويليه الجزء الخامس بإذن الله
(عمالقة الجبال)

مهرجان الموت

• ما مصير (أدهم صبرى) ، بعد أن حدد (أندروفيتشى) موقعه ، وأطلق رجاله خلفه ؟!

• هل يمكن أن ينجح (أدهم) ورفاقه فى تحديد موقع السنيورا فى (بوليفيا) ؟!

• ترى لمن يكون النصر فى هذه الجولة من المعركة ؟! ومن ينجو من (مهرجان الموت) ؟!

• اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل بعقلك وكيانك مع الرجل .. (رجل المستحيل) .



العدد القادم : عمالقة الجبال



د. نبيل فاروق

رجل المستحيل
سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة

116

الثمن
ومايعادل
فى سائر الدول العربية والعالم

٧١٥٧٩